جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

بلاغة الأمثال القرآنية في سورة محمد ﷺ

الدكتورة

هبة إسماعيل حسن إبراهيم

المدرس بقسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالزقازيق - جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغة الأمثال القرآنية في سورة محمد ﷺ

هبة إسماعيل حسن إبراهيم

قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني :Hebaismail.67@azhar.edu.eg

الملخص :

للأمثال مكانتها في القرآن الكريم ، ففضلاً عن كثرتها وتنوعها ، فإنها تزخر بعالمٍ فريدٍ من الحكمة والموعظة ، تتخطى بالقارىء والمتدبر لها حدود الزمان والمكان ، وموضوع البحث يتناول الأمثال القرآنية الواردة في سورة محمدﷺ، وقد قُمت بدراسة هذه الأمثال دراسة بلاغية ، للكشف عن أسرار التعبير القرآني ، وإبراز دقة ألفاظه وعمق تراكيبه ، والإشارة إلى ماتهدف إليه من حكم ومعانٍ سامية.

جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين ، وقد تضمن التمهيد قسمين: القسم الأول: بعنوان :إطلالة على الأمثال القرآنية، والقسم الثاني: بعنوان :بين يدي السورة، وأما المبحث الأول: فهو بعنوان: بلاغة الأمثال في التعبير عن العاقبة المنتظرة ، وجاء المبحث الثاني: بعنوان: بلاغة الأمثال في التعبير عن أوصاف جنات المؤمنين، ثم خاتمة البحث، وفهارسه.

الكلمات المفتاحية : الأمثال القرآنية ، بلاغة الأمثال ، بلاغة التعبير ، ملامح الإعجاز.

The eloquence of Quranic proverbs in Surat Muhammad ﷺ

Heba Ismail Hassan Ibrahim
Department of Rhetoric and Criticism in the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Zagazig - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt .
Email: Hebaismail.67@azhar.edu.eg

Abstract

Proverbs have their place in the Noble Qur'an, in addition to their abundance and diversity, it abounds in a unique world of wisdom and exhortation, which transcends the reader and the one who thinks about it the limits of time and place, and the topic of research deals with the Qur'anic proverbs contained in Surat Muhammad, and I have studied these proverbs rhetorically, to reveal the secrets of expression The Qur'an, highlighting the accuracy of its words and the depth of its structures, and an indication of the lofty wisdom and meanings it aims at.

The research came in an introduction, an introduction, and two topics, and the introduction included two parts: the first section: entitled: An Overview of Qur'anic Proverbs, and the second section: entitled: Between the hands of the Surah, and the first topic: It is entitled: Rhetoric of proverbs in the expression of the expected outcome, and the topic came The second: entitled: Rhetoric of proverbs in expressing the reward of believers, describing their gardens, then the conclusion of the research, and its indexes.

Keywords : Quranic proverbs, rhetoric of proverbs, eloquence of expression, features of miracles.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المتعالي عن الأشباه والأمثال، صاحب الفضل العظيم والكرم المنثال ، وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي المجتبي المختار، وعلى آله وأصحابه أعلام الدين القويم الأماثل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

أما بعد :

فقد أنزل الله سبحانه القرآن الكريم على رسوله الأمين، كي يكون هاديا لهذه الأمة، وامتاز هذا الكتاب العزيز بإعجازه في كل شيءٍ فيه:لغته ، وبلاغته وفصاحته، وتشريعاته وأحكامه، و حتى في أسلوبه، ومن الأساليب التي سلكها القرآن الكريم ضرب الأمثال .

وضرب الأمثال في الكتاب العزيز من الأساليب البديعة الدالة على إعجاز القرآن، وذلك من خلال إبراز المعاني للمفردات القرآنية بشكل حسن يقربها من العقول،و في صور ترسخ في الأذهان، كتشبيه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت:٣٤

وقال سبحانه قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ١٢

وإن معرفة أمثال القرآن أمرٌ غاية في الأهمية ؛ ذلك لأنه لابد منه للعالم المفسر المجتهد، والقارئ المتدبر المعتبر، ووضَّح عبد القاهر الجرجاني مدى أهمية الأمثال القرآنية فقال:" واعلم أنَّ مما اتفق عليه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو أبرزت هي باختصار في معرضه ،و نقلت عن صورها الأصلية إلى صُورَتِهِ ، أكساها حُلَّة بَهيَّة وأكسبها منقبة، وَرَفعَ من أقدارها"(١)، ومن هنا فإنَّ ضَربَ الأمثال في القرآن أسلوبٌ تتضح من خلاله الحقائق المعقولة بالصورةِ المحسوسةِ ، ومن خلال ضرب الأمثال تُقرب هذه الحقائق من الأذهان ، وفي الحقيقة ؛ فإنَّ أمثال القرآن لها بلاغة خاصة وتذوق جميل لا يحس بها إلا العارف لأسرار اللغة العربية، ومن دلائل رحمة الله –عز وجل– وحبه وتوودده لعباده ضرب الأمثال فهو المتعالي و الغني عنهم إلا أنه ضرب الأمثال لسهولة الفهم والإدراك ولسهولة الوصول إليه حتى لا يكون لأحد حجة يوم القيامة فكل الدلائل العقلية والكونية والأدبية تشير بنفسٍ واحدٍ لا إله إلا الله.

أسباب اختيار الموضوع: لقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

- أهمية الدراسات القرآنية.

- أهمية الأمثال القرآنية فهي من الطرق والوسائل التي سلكها القرآن في إيصال الدعوة للناس كافة بالرغم من اختلاف طبائعهم ، وزيادةً في التوضيح والتقرير.

- كون الأمثال وصفت بأنَّها لا يعقلها إلا العالمون لعظم الموضوعات التي تتناولها الأمثال القرآنية ، بالإضافة إلى أنها ضُربت للناس لكي يتفكروا بها ويتعظوا منها.

أهداف البحث: الكشف عن بعض اللطائف والصور البيانية، في الأمثال القرآنية الصحيحة التي وردت في سوره محمد ﷺ.

---

١ – ينظر دلائل الإعجاز للجرجاني ، ص٩٢– ٩٥.

•تقديم دراسة بلاغية لتكون حلقة في إطار الدراسات البيانية المحكمة للقرآن الكريم.

•التأكيد على أهمية الأعمال في حياة المسلم ، والتركيز على أن دائمًا مسألة قبول أو احباط الأعمال بإطاعة الرسول واتباع أوامره وسنته.

•التأكيد على الترابط الوثيق والتلاحم بين الأمثال القرآنية ومقاصد السورة.

•بيان حال الفريقين من المؤمنين والكافرين، وما بينهما من تباين واختلاف في اختيار كل منهما ، وما أعده الله للمؤمنين ، وما أعده للكافرين من خلال استعراض الأمثال القرآنية في سورة محمدﷺ، والتي تشترك بمجملها حول هذا الهدف.

الدراسات السابقة:

كتب العديد من العلماء –قديمًا وحديثًا – كتب متفاوتة الحجم والمنهج حول الأمثال القرآنية ، فمن أبرز العلماء القدامى الذين كتبوا في هذا الموضوع الإمام ابن القيم في كتابه "أمثال القرآن " طبع في كتاب مستقل ، وهو جزء من مؤلفه إعلام الموقعين ، و"الأمثال من الكتاب والسنة" للحكيم الترمذي ، وأما من العلماء المعاصرين فكتاب "أمثال القرآن "للدكتور محمود بن الشريف ، و"الأمثال في القران" للدكتور محمد جابر فياض ، و"أمثال القرآن" لعبد الرحمن حنبكة الميداني ، وغيرها من الكتب.

إلا أن هذه الكتب كلها تناولت الحديث عن أمثال القرآن بشكل مجمل ، يأخذ طابع التفسير العام، بالإضافة إلى بعض الفوائد والإرشادات، ولم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تتخص في جانب معين ، وهي تشبه إلى حدٍ كبير ما أورده المفسرون في تفاسيرهم لهذه الأمثال.

غير أن الدراسة البلاغية الوحيدة – حسب اطلاعي – التي تناولت الأمثال القرانية ، هي رسالة نوقشت في جامعة أم القرى بعنوان :"وجوه البيان في أمثال القرآن" للباحثة: سميرة عدلي محمد رزق ،لكن هذه الدراسة لم تستوعب كل الأمثال القرآنية ، بل أخذت طائفة من كل نوع من أنواع الأمثال و قامت بدراستها ، وعندى رجوعي إلى الرسالة لم أجد أنها تعرضت أبدًا إلى الأمثال الواردة في سورة "محمدﷺ" .

الجديد في البحث: لهذا عقدت العزم ، وتوكلت على الله –تعالى– في تقديم دراسة بلاغية مستقلة ، حول الأمثال القرآنية الصحيحة الواردة في سورة "محمد" عسى أن تأخذ هذه الدراسة مكانها في التفسير البلاغي.

منهج البحث: سلكت في الدراسة منهجي الاستقراء والتحليل ، حيث تتبعت طرائق التحليل اللغوي البياني البلاغي ، للكشف عن أسرار التعبير القرآني ، من حيث نظمه ، وأدائه ، ودقة ألفاظه ، والتدبّر العميق في تركيب الجمل والمفردات الواردة في المثل ، ثم تحليلها على ضوء البلاغة.

خطه البحث: جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، و مبحثين، وخاتمة.

المقدمة: بيّنت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع ، وأهداف البحث وأشرت إلى الدراسات السابقة ، والجديد في البحث وأوضحت المنهج الذي اتبعته وسرت عليه.

التمهيد:وقد تضمن التمهيد قسمين: القسم الأول: بعنوان : إطلالة على الأمثال القرآنية ، والقسم الثاني: بعنوان :بين يدي السورة، ثم ذكرت آيات الأمثال في السورة حصراً وتصنيفاً.

وأما المبحث الأول: فهو بعنوان: بلاغة الأمثال في التعبير عن العاقبة المنتظرة ، وجاء المبحث الثاني: بعنوان: بلاغة الأمثال في التعبير عن أوصاف جنات المؤمنين؛ ثم خاتمة البحث، وفهارسه.

وبعد: فهذا ماسعيتُ إلى تحقيقه ، والوصول إليه ،فإن تمَّ ذلك على الوجه الذي أرجوه فقد حققتُ مرادي ، وأصبتُ مبتغاي ، وذلك تفضل منه –سبحانه– وتكرم ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلتُ وحاولتُ ، وإن لم أبلغ الكمال فحسبي –أيضاً– أني سعيتُ له واجتهدتُ ، والله وحده هو الذي يتولى أمرنا ، ويوفقنا إلى السداد والصواب ، والحمد لله رب العالمين.

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً آمين لله

د/هبة إسماعيل حسن إبراهيم.

****

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التمهيد:

القسم الأول: (إطلالة على الأمثال القرآنية) :(أمثال القرآن الكريم) : ضرب اللهُ -عزّ وجل- الأمثال للناس في كتابه العزيز، واعتنى أهل العلم بالكلام في أمثال القرآن، وهذه الإطلالة تتناول مصطلح المَثَل في اللغة وفي الاستخدام القرآني، وتعرض فوائد ضرب الأمثال وأغراضها، وتتخلّلها تنبيهات وفوائد تتعلّق بالأمثال في القرآن.

وضرب اللهُ الأمثالَ في كتابه العزيز، دلَّ على هذا الكتابُ نفسُه، فقال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[الحشر: ٢١]، وقال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}[العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[الزمر: ٢٧].

ودلَّ على هذا قوله -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه الترمذي عن عليٍّ -رضي الله عنه-: «إنّ الله أنزل القرآن آمِرًا وزاجرًا، وسُنَّة خالية، ومَثَلًا مضروبًا».

وتتبَّع ابن القيم أمثالَ القرآن التي تضمّنت تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحُكم، فبلغت بضعة وأربعين مثلًا.

وجرَى على طريقة القرآن في ضرب الأمثال أحاديثُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى رُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال: «حفظتُ عن رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- ألفَ مَثَل»، وهذا الأثر قد نبَّه نُقَّاد الحديث على عدم صحته، لكن روايته تُشعر بأن الأمثال الواردة في السُّنة ليست بقليلٍ.

وقد عقَد للأمثال النبوية أبو عيسى الترمذي في (جامعه) بابًا أورد فيه أربعين حديثًا.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «لم أَرَ من أهل الحديث من صنَّفَ فأفرد للأمثال بابًا غير أبي عيسى، ولله درُّه، لقد فتح بابًا، وبنى قصرًا أو دارًا، ولكنه اختطّ خطًّا صغيرًا، فنحن نقنع به، ونشكره عليه».

فللأمثال أثر بليغ في تلقِّي الدعوة بالقبول؛ لذلك أحرزَتْ بين الأساليب التي يتحرّاها القرآن في هدايته منزلةً ساميةً.

المَثَل في اللغة: يُستعمل المَثَل في أصل اللغة بمعنى التشبيه والمِثْل، ثم قالوا للقول السائر الممثّل مضربه بمورده: مَثَلًا.

والمَثَل بهذا المعنى هو الذي ألّفَ فيه علماء اللغة كتب الأمثال: كأبي عبيدة، وابن حبيب، وابن قتيبة، وابن الأنباري، وأبي هلال، والميداني.

ولما كان العرب لا يضربون الأمثال إلا بقول فيه حُسْن وغرابة، نقلوا لفظ المَثَل إلى معنى ثالث هو: الشأن الغريب، والقصة العجيبة، وبهذا المعنى فُسِّر لفظ المَثَل في كثير من الآيات؛ كقوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}[محمد: ١٥].

ونبّه الزمخشري لهذه المعاني الثلاثة، ودلَّ على أنها وردت في اللغة على هذا الترتيب، فقال في (كشّافه): «والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مَثَل، ولم يضربوا مثلًا، ولا رأوه أهلًا للتسيير، ولا جديرًا بالتداول والقبول إلا قولًا فيه غرابة من بعض الوجوه، ثم قال: وقد استعير المَثَل للحال، أو الصفة، أو القصة إذا كان لها شأن، وفيها غرابة».

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكذلك يقول السعد التفتازاني في (الشرح المطول): «ولِكَوْن الـمَثَل مما فيه غرابة، استُعير لفظه للحال، أو الصفة، أو القصة إذا كان لها شأن غريب، ونوع غرابة؛ كقوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}[محمد: ١٥]؛ أي: فيما قصَصْنا عليكم من العجائب قصةُ الجنةِ العجيبة».

وحدَث بعد هذا أنْ ذهب علماء البيان في تعريف الـمَثَل إلى معنى رابع؛ إذ قالوا في بحث المجاز المركَّب: إنّ المجاز المركَّب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله، سُمِّي: مثلًا، وإلَّا سُمِّي: مجازًا مرسلًا، وقالوا: فما لم يكن استعارة، أو لم يفشُ استعماله، فليس بمَثَل عندهم، فالمثل إذًا هو: المجاز الذي تكون علاقته المشابهة، ويفشوا استعماله.

وإنما قلنا: إنّ ما ذهب إليه البيانيُّون معنى رابع للمثل، وليس هو المعنى الذي يريده المؤلفون في أمثال العرب، ذلك أنّ المؤلِّفين في الأمثال لا يَقْصرون المثل على ما يكون استعماله من قَبيل الاستعارة؛ نحو قولك للمتردّد في فعل أمر: «ما لي أراك تقدِّم رِجلًا، وتؤخّر أخرى؟»، وقولك لمن ترك شيئًا عند سُنوح الفرصة لإدراكه، ثم قام يسعى إليه بعد فوات الفرصة: «الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ».([1])

١- الصيفَ ضيَّعتِ اللبنَ: مَثَل عربي يُضرب فيمن يكون عنده خير ثم ينزل عنه، فإن طلبه مرة أخرى لم يحصل عليه، والتاء من "ضيعتِ" مكسور في كل حال إذا خوطب به المذكر والمؤنث والاثنان والجمع؛ لأنه في الأصل خوطب به امرأة، وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة، كانت زوجة لعمرو بن عُدَاس، وكان شيخًا هرمًا، فكرهته فطلقها، ثم تزوجها فتى جميل الوجه، ولما أجْدَبَتْ مع زوجها الجديد بعثت إلى عمرو -زوجها الأول- تطلب منه حَلُوبة، فَقَال عمرو: "في الصيف ضيعتِ اللبنَ"، ويُروى: "الصيفَ ضيعتِ اللبن"، وإنما خص الصيف لأن سؤالها الطلاقَ كان في الصيف، أو أن الرجل إذا لم يطرق ماشيته في الصيف كان مضيعًا لألبانها عند الحاجة، يُنظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٦٨) ط. دار المعرفة – بيروت.

بل يطلقون المَثَل على كلام شائع؛ لحُسنه، أو لاشتماله على حكمة بالغة، فيتناول كلامًا يكون استعماله في مضربه على وجه الاستعارة، وما يكون استعماله على وجه الحقيقة؛ نحو: «السعيدُ من اتَّعَظَ بغيرِه»، وما يكون استعماله على وجه التشبيه الصريح؛ نحو قولك: «يخاف شرَّه، ويشتهي قُرْبَه»؛ كالخمر يشتهي شربها، ويخشى صداعها.

فتلخَّص لنا مما سبق: أن للمَثل معنى في أصل اللغة هو: الشبيه والمِثْل، ومعنى هو: القول السائر، ومعنى هو: الوصف الغريب، أو القصة الغريبة، ومعنى هو: المجاز المركَّب الذي تكون علاقته المشابهة، ويفشو استعماله.

المَثل في القرآن: فإذا رجعنا بعد هذا إلى تعرّف أمثال القرآن المشار إليها بمثل قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[الحشر: ٢١]؛ لنعلم ما المراد من المَثَل الذي يضربه الله للناس، فهل يراد منه: الشبيه والنّظير؟ أو يراد منه: القول السائر الذي يُشبَّه مضربه بمورده، أو يراد منه الحال، أو القصة الغريبة، أو يراد: المجاز المركب المستعمل على وجه الاستعارة؟

لنا في تحقيق معنى المثل في القرآن نظران:

ننظر أوّلًا في كلام مَن تصدَّوا في علوم القرآن إلى أمثاله، فكتبوا فيها مصنَّفًا مستقلًّا كما فعل أبو الحسن الماوردي، أو عقدوا لها بابًا خاصًّا كما فعل الشيخ السيوطي في كتاب (الإتقان)، وفعل الشيخ ابن القيم في كتاب (إعلام الموقِّعين).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فوائد ضرب المثل:

يُضرب المثل لتقرير حال الممثَّل في النفس؛ حيث يكون الممثَّل به أوضح من الممثَّل، أو يكون للنفس سابقةُ أُلْفَةٍ وائتناس به؛ كما ضرب الله مثلًا لحال المنفِق رياءً؛ حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا}[البقرة: ٢٦٤]، فقد مثَّل حال المرائي في إنفاقه بحال الحجر الأملس يكون عليه تراب، فيصيبه مطرٌ غزيرٌ، فيَذهب بما عليه من تراب، فأعمال المرائي مثل التراب الذي كان على الحجر، فإنها تَذهب هباء، ولا يجد لها ثوابًا، وفي هذا المثل تقرير لخيبة المرائي على وجه أبلغ ما يكون.

ويُضرب المثل للترغيب في الممثَّل؛ حيث يكون الممثَّل به مما تستحسنه النفوس، وترغب فيه؛ كما ضرب الله مثلًا لحال المنفِق في سبيل الله؛ حيث يعود عليه الإنفاق بخيرٍ كثيرٍ، فقال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[البقرة: ٢٦١].

ويُضرب المثل للتنفير؛ حيث يكون الممثَّل به مما تكرهه النفوس، وتنفر منه؛ كما ضرب الله مثلًا لحال المغتاب، فقال تعالى: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}[الحجرات: ١٢]،وليس مِن شك في نفور الطباع من أكل لحم الأخ وهو ميت، فينبغي أن يكون نفوره من الغِيبة بمقدار هذا النفور.

ويُضرب المثل لمدح الممثَّل؛ حيث يكون في الممثَّل به صفات تستحسنها النفوس، وتمدح مَن يحرز مثلها؛ كما ضرب الله مثلًا لحال

الصحابة -رضي الله عنهم-، فقال تعالى: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}[الفتح: ٢٩].

فالزرع يُخرج شطأه، وهو ما تفرّع في شاطئيه -أي: جوانبه-، ثم يقوَى، ويستغلظ -أي: يصير بعد الدقَّة غليظًا-، وكذلك حال الصحابة؛ فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلًا، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب إعجابًا بعظمتهم.

ويُضرب المثل للذمِّ؛ حيث يكون للممثَّل به صفة يستقبحها الناس، ويذمُّون مَنْ رضي لنفسه بمثلها؛ كما ضرب اللهُ مثلًا لحال من آتاه الله كتابه، فنكث يده من العمل به، وانحطَّ في أهوائه، فقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، فقد مثَّلت الآية حال العالِم المنحطّ في أهوائه بحال الكلب الذي هو أخبث الحيوان، وأخسّها نفسًا، ذلك أنّ المنحط في أهوائه شديد اللهف على الدنيا، قليل الصبر عنها، فلهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتَرْكه.

ويُضرب المثل في مقام الاحتجاج؛ حيث يلزم مِن تسليم الممثَّل به وإدراكِ أنّ الممثَّل مطابق له -الرجوعُ إلى الاعتقاد بالحقّ؛ كما ضرب الله مثلًا للدلالة على أنه الإله الحق، وأن الأوثان لا تستحق أن تُعبد، فقال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ}[النحل: ٧٥].

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إِذْ دلَّ بالمثل على عجز الأصنام عن أن تنفع عابدها بشيء؛ إِذْ مثَّل حالها بحال العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، ودلّ على كمال قدرته؛ إِذْ جعل في مقابلة العبد المملوك الممثل للأصنام، مَن اتسع رزقُه وكان ينفق منه كيف يشاء، ومَن له مُسكة مِن العقل لا يتولَّى العاجزَ بالعبادة، ويدَع عبادة القادر على كلّ شيء.

ومن بديع أسلوب القرآن في ضرب المثل: أن يسوق الجُمل مستعملًا لها في معانيها الحقيقية، قاصدًا بها غرضًا خاصًّا؛ كالاحتجاج على بعض العقائد، وبعدَ أن يفيد بها هذا الغرض يعود إلى جَعْلها مثلًا يرمي إلى غرض من الأغراض التي تُضرَب لها الأمثال، فانظروا إن شئتم إلى قوله تعالى: {وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}[الرعد: ١٦، ١٧].

فقوله تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ...} إلى قوله: {زَبَدٌ مِثْلُهُ} ظاهر في معنى تقرير حُجة على كمال قدرته تعالى، وبعد أن أقام به حجة على المشركين، جعَل هذا القول نفسَه مثلًا يستبين به الحق والباطل، فقال تعالى: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ}، وهذا من الإيجاز الذي بلغ به القرآن أعلى طبقات البلاغة.

إذا ضرب الله مثلًا، فهل يجوز أن يُراد من ذلك المثل: المعنى الذي سيق من أَجْلِه؛ نحو: التقرير، أو التحسين، أو التقبيح، ولا يلزم أن تكون صورة الممثَّل به واقعة في نفس الأمر؟!

ذهب فريق إلى جواز ذلك؛ فترَون الزمخشري –وهو يُنكِر أن يَصرع الشيطانُ الإنسانَ– يقول في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}[البقرة: ٢٧٥]: «تخبُّطُ الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أنّ الشيطان يخبط الإنسان فيَصرعه، فوَرد على ما كانوا يعتقدون».

أو يقال: إنّ الله لا يضرب المثل إلا بما يقع، حتى إذا ضرب المثل بشيء، أمكننا الاستدلال بالتمثيل على وقوع ذلك الشيء، وهذا ما يقوله جمهور أهل السُّنَّة، ونحن نستبعد أن يمثّل اللهُ تعالى بأمرٍ يزعمه الناس زعمًا باطلًا؛ فإنّ التمثيل به دون تنبيه على بطلانه لا يلائم ما عُرف في هداية القرآن، ومن هنا قرّر المحققون من الأصوليِّين قاعدة هي: (أنّ ما يقصُّه القرآن من قول يتضمن رأيًا، ولا يقرنه بتنبيه على بطلانه، أو يكون قد نبَّه عليه مِن قبل، فإنه يُعدُّ حقًّا لا محالة).

فالقرآن لا يُمثِّل بشيءٍ يزعمه العرب زعمًا باطلًا، ولكنه قد يمثّل بشيءٍ لا يدخل في قبيل المزاعم الباطلة، وإنما هو شيء يصفه بصفات مفهومة الحقائق، ممكنة الوقوع، وإن لم تقع عليها أعين الناس مجتمعة، فالله تعالى يقول: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ}[البقرة: ٢٦١]، فقد ذكر طائفة من الباحثين أنَّ هذا من قَبيل التمثيل موجود، وأنَّ البُرَّة –الحبَّة من البُرِّ– قد تبلغ في الأرض القويَّة المُغِلَّة أنْ تُنبِت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مائة حبة، وعلى فرض أن لا يرى النّاس حبّة بلغت في الإنبات هذا المبلغ، لم يكن في تمثيل القرآن بها مِن بأس.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد يَضرب القرآنُ المثلَ بأمرٍ موجودٍ على حال حُسن أو قُبح، والناس يعتقدونه على ما هو عليه مِن حُسْنٍ أو قُبْحٍ، وإن لم يرَوه بأبصارهم، ولكنه يحضر في أذهانهم بصورة جميلة، أو صورة قبيحة، فيكون التمثيل به تمثيلًا بأمرٍ موجودٍ، وصورته الحاضرة في الأذهان مطابقة للواقع من حيث حسنها أو قبحها، ومثل هذا قوله: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}[الصافات: ٦٤، ٦٥]، فالشيطان شخصٌ حيٌّ، ولكن المخاطَبين لم يرَوه بأبصارهم، وجاء التمثيل في هذه الآية على ما اعتقدوه اعتقادًا مطابقًا مِن قُبح صورته، وعلى هذا النحو يجري التمثُّل بالمَلَك في قوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}[يوسف: ٣١]، فإنّ التمثيل جارٍ على ما تصوّروه مِن حُسنه، وهذا التصور صادق لا محالة.

وإن تعجب، فاقضِ العجبَ ممن يعمد إلى قصةٍ في القرآن، قصَّها الله تعالى؛ لِمَا فيها من عِبرة وحِكمة، ويجرؤ على أن يقول: «إنّ هذه القصة وردت على طريقة التمثيل!» يقول هذا وليس بيده شاهدٌ من الآية نفسِها، ولا دليلٌ سمعيٌّ من غيرها، ولا أنّ العقل السليم يُنكِر أن تكون واقعة؛ كما قال بعضهم هذا القول في قصة الملائكة وسجودهم لآدم -عليه السلام-.

ولو فُتح هذا الباب من التأويل الجامح، لاتخذه ضعفاء الإيمان وسيلة إلى جحودِ كثيرٍ من الحقائق؛ حيث يحملون آياتها على أنها تمثيل، ويخترعون لها من الممثَّلات ما تشاء أهواؤهم.

١.وإذا كان القرآن إنما نزل بلسانٍ عربيّ مبين، فإنّ العرب لا يذهبون بالكلام مذهبَ التمثيل إلَّا أنْ يحفُّوه بقرينة كافية في الدلالة على أنه

تمثيل.([1]) المجالات التي تناولتها الأمثال القرآنية كثيرة نذكر أبرزها وأهمها وهي:

١- بينت الإيمان ومثلت له.
٢- كشفت الكفر وردت شبهه.
٣- فضحت النفاق.
٤- -نادت بالخير وردت الشر.
٥- صورت الخبيث والطيب.
٦- ميزت الصالح عن الطالح.

القسم الثاني: بين يدي السورة :(**التعريف بالسورة)** : سورة محمد هي السورة السابعة والأربعون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة السادسة والتسعون بحسب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحديد، وقبل سورة الرعد. وهي مدنية بالاتفاق، حكاه ابن عطية والسيوطي في "الإتقان". وآياتها ٣٨ آية، **تسميتها**: سميت هذه السورة في كتب السُّنَّة (سورة محمد) وكذلك تُرجمت في "صحيح البخاري "من رواية أبي ذر عن البخاري، وكذلك في التفاسير، ووقع في أكثر روايات "صحيح البخاري" (سورة الذين كفروا) والأشهر الأول، ووجهه أنها ذُكر فيها اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الآية الثانية منها، فعُرفت به قبل سورة آل عمران التي فيها} :"وما محمد إلارسول"([2]) .

١- "أمثال القرآن الكريم" مقال نُشر في مجلة (الهداية الإسلامية)، الجزء الثالث من المجلد السادس عشر، الصادر في شهر رمضان ١٣٦٢هـ، ثم نُشرت في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (٢/ ٣٠)، ط. دار النوادر – سوريا.

٢ - آل عمران ١٤٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومما ذكر في سبب تسميتها ما فيها من أن الإيمان بما نزل على محمد متفرقاً، أعظم من الإيمان بما نزل مجموعاً على سائر الأنبياء عليهم السلام. وهو من أعظم مقاصد القرآن ."وتسمى (سورة القتال) وتسميتها بهذا؛ لأنها ذكرت فيها مشروعية القتال؛ ولأنها ذكر فيها لفظه في قوله تعالى} :ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة وذكر فيها القتال) (محمد:٢٠) فالمراد بـ (السورة) في هذه الآية هذه السورة، فتكون تسميتها (سورة القتال) تسمية قرآنية. قال سيد قطب رحمه الله: وهو اسم حقيقي لها؛ فـ (القتال) هو موضوعها، و(القتال) هو العنصر البارز فيها.

روى أبو نُعيم عن إبراهيم بن الأشعث، أن الفضيل بن عياض قرأ سورة محمد، فشرع يبكي ويردد هذه الآية} :"ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم "{محمد:٣١). وجعل يقول: "إن بلوت أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا، ويبكي."

مناسبتها

مناسبتها للسورة التي قبلها أن حديثها عن الكفار، الذي بُدئت به متصل بما خُتمت به سابقتها سورة الأحقاف، التي ذكرت حالهم يوم يعرضون على النار، بسبب كفرهم وإيذاء الرسول وإنكار البعث، وقررت مصيرهم بقوله تعالى} :فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) {الأحقاف:٣٥) حتى قال ابن كثير" :لا يخفى قوة ارتباط أولها بآخر السورة قبلها، واتصاله وتلاحمه، بحيث لو سقطت من البين البسملة، لكانا كلاماً واحداً، لا تنافر فيه، كالآية الواحدة آخذاً بعضها بعنق بعض ."

مقاصدها

معظم ما في هذه السورة التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد. وقد افتتحت بما يثير حنق المؤمنين على المشركين؛ لأنهم كفروا بالله، وصدوا عن سبيله، أي دينه. فـ (القتال) هو موضوع السورة؛ فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا، وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إيحاء بأن الله عدو للأولين، وليٌّ للآخَرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه.

فوائد سورة محمد: أنّها تلفتُ الأنظار إلى الأمم السابقة وأحوالها وتشيرُ إلى ما وقعَ بهم من هلاك ودمار وعذاب من الله تعالى بسبب الكفر والعصيان، قال تعالى: {أَفَلَمْ يسِيرُوا في الأَرْضِ فَينظُرُوا كيْفَ كانَ عاقِبَةُ الّذينَ منْ قَبلِهِمْ دمّرَ اللّهُ عَليهِمْ وِللكَافِرِينَ أمثَالُهَا}.

تتطرق إلى الحديث عن المؤمنين والكفار وأحوالهم في الدنيا وفي الآخرة، وتشيرُ أيضًا إلى المنافقين الذين يخفون الكفر ويظهرون الإيمان وتبين علامات نفاقهم من الجبن والخوف من الجهاد ومن الاستخفاف بكلام الرسول –عليه الصلاة والسلام– ومعاملتهم لليهود من دون المؤمنين، قال تعالى: {إنّ الّذينَ ارتَدُّوا علَى أدبَارِهِمْ منْ بعدِ ما تبيّنَ لهُمُ الهُدَى الشّيطَانُ سوّلَ لهُمْ وأَمْلَى لهُمْ * ذلِكَ بأَنّهُمْ قالُوا للّذِينَ كرِهُوا ما نزّلَ اللّه سَنطِيعُكُمْ في بعضِ الأَمْرِ واللّهُ يعلَمُ إسرَارَهُمْ}.

بعد ذلك تعود لموضوع المشركين الذين يحاربون الإسلام ودعوته، وتدعو المؤمنين لمتابعة الجهاد بكل إمكانياتهم وتحذّر الذين يبخلون عن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الجهاد بأموالهم بأن الله قادرٌ على أن يهلكهم ويأتي بقوم آخرين لا يكونوا مثلهم في البخل والإعراض عن أوامر الله تعالى، قال تعالى: {ها أنتمْ هؤُلَاءِ تدْعَوْنَ لتُنفِقُوا في سبيلِ اللّهِ فمِنْكُمْ منْ يَبخَلُ ومَنْ يبْخَلْ فإنّمَا يبخَلُ عنْ نفْسِهِ واللّهُ الغَنِيُّ وأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ وإِنْ تتَوَلّوْا يستَبْدِلْ قوْمًا غيْرَكُمْ ثمّ لا يكُونُوا أمثَالَكُمْ}.

إن إفراد سورة من سور القرآن الكريم باسم النبي المصطفى – صلى الله عليه وسلم– أمر يدعو إلى التفكر والتدبر في آياتها، ويثير الفضول للبحث في معانيها وأساليب البديع والبيان فيها؛ لذلك كان لا بد من وقفة مع تأملات في سورة محمد لعرض عدد من الأوجه البيانية الواردة فيها وتقديم تفاسير لها، وللحديث عن الفوائد اللغوية في سورة محمد، يجب الوقوف عند قوله –تعالى–: {ومغفرة من ربهم}، تمت إضافة النعم بعد الوصف مع أن المغفرة سابقة لهذه النعم فما تفسير ذلك؟ التفسير بأن الواو لا توجب الترتيب في الإخبار، وإفاضة النعم لا تستلزم الستر معها؛ لذلك ذكر – سبحانه– أنه مع ذلك فقد ستر الذنوب ولم يفضحهم.

وفي قوله –تعالى– في الآية الكريمة أيضا: {لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة}، فإن كلا من الفعلين نزل وأنزل متعد، وقيل إن الفعل نزل يستخدم لغرضي التعدي والمبالغة، أما الفعل أنزل فيستخدم للتعدي فقط، كما قيل إن نزل يستخدم عند قصد النزول على شكل دفعة، أما أنزل فعند إرادة النزول متفرقا، أما الأولى فقد خصها –سبحانه وتعالى– ب نزلت؛ لأنه كلام من كلام المؤمنين، وذكر بلفظ المبالغة، فقد كانوا يأنسون عند نزول الوحي، ويستوحشون حالة إبطائه.

أما في قوله –تعالى– في أول السورة: {نزل على محمد}، ثم قال بعدها {أنزل الله}، وفي قوله –تعالى–: {من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم}، فإن هذه الآية قد نزلت في اليهود، وبعدها قوله –تعالى–: {من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا}، فقد نزلت في قوم ارتدوا وليس ذلك بتكرار.

تتناسب سورة محمد مع السورة التي قبلها في أن حديثها عن الكفار، الذي بُدئت به متصل بما خُتمت به سابقتها سورة الأحقاف، التي ذكرت حالهم يوم يعرضون على النار، بسبب كفرهم وإيذاء الرسول وإنكار البعث، وقررت مصيرهم بقوله تعالى: {فهل يهلك إلا القوم الفاسقون}.

قال ابن كثير: "لا يخفى قوة ارتباط أولها بآخر السورة قبلها، واتصاله وتلاحمه، بحيث لو سقطت من البين البسملة، لكانا كلاماً واحداً، لا تنافر فيه، كالآية الواحدة آخذاً بعضها بعنق بعض".

آيات الأمثال في سورة(محمد) حصراً وتصنيفاً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣ ﴾ **محمد: ٣**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ ﴾ **محمد: ١٥**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

بلاغة الأمثال في التعبير عن العاقبة المنتظرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ محمد: ٣

ارتبطت الآية الكريمة بالآيتين السابقتين من خلال الإشارة " ذلك" حيث وضح فيها السبب في إضلال الكفار، وتكفير سيئات المؤمنين ، وإصلاح بالهم ، كما عمل اسم الإشارة على ربط تركيب الآية فهو مسند إليه ، وفي تعريفه باسم الإشارة الموضوع للبعيد، تميز المشار إليه أكمل تمييز ، و هو السر والسبب في إضلال أعمال الذين كفروا ، واصلاح بال المؤمنين وذلك "لأن اسم الإشارة بطبيعة دلالته يفيد تحديد المراد منه تحديداً ظاهراً وتميزه تميزاً تماماً" (١) فقد أراد الله – عز وجل – إبراز عاقبة الفريقين ، والتأكيد عليها، فميزه باسم الإشارة ، لاستحضاره أمام السامعين، فيؤدي بذلك إلى تمكنه في النفس ، كما يشير إلى سر بلاغي آخر ، وهو تجسيد المعنويات ، وهي أعمال الذين كفروا ، وأعمال الذين آمنوا في صورة محسوسة مشاهدة، ولكنها بعيدة ؛ لأنه لا يأخذ ل العظة والاعتبار منها إلا النفوس المؤمنة التي أصلحها الله – عز وجل– وجعل صلاحها ظاهراً وباطناً ، فكانت قوية مهيئة للوعي والادراك.

وأفادت الباء مع اقترانها بأداة التوكيد في قوله "بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ " السببية(٢) ليشير إلى بيان أهمية الخبر ويلتف ويلفت الانتباه إلى الموازنة التي ستعقد في الآية الكريمة ، وجاء التأكيد أيضاً من خلال أسلوب الإيضاح

---

١ – علم المعاني دراسة بلاغية أ–د/بسيوني فيود ص١٠٧.

٢ – الجني الداني في حروف المعاني ص٣٩.

بعد الإيهام حيث إن في "ذلك" إيهاماً وضحه بقوله" بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ..... " وكان للتعبير البياني عن طريق الاستعارة أثره في الآية حيث شبه أعمال الذين كفروا باتباع الباطل ، ثم استعير اتباع الباطل لأعمال الذين كفروا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، كما جاء نفس التركيب مع أعمال الذين آمنوا حيث استعير إتباع الحق لأعمال الذين آمنوا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وبلاغتها: بيان حال الفريقين من المؤمنين والكافرين وما بينهما من تباين واختلاف في اختيار كل منهما؛ لذا تكرر" اتبعوا" مع الفريقين ليؤذن أن كلا الفريقين قد تعمق وتقرر لديه الاعتقاد الذي يراه اتباعاً.

وفي تعريف الباطل باللام إشارة إلى كونه الباطل عينه حتى لكأن لا باطل سواه تقبيحاً لهم على اتباعهم.

كما في تعريف" الحق" باللام ليدلل على أن ما اتبعه المؤمنون هو الحق ، ولا حق سواه ، و يحمل الحق أكثر من دلالة فهو يشمل الإيمان بالله ، وبالقرآن وبالرسول- ﷺ- لذا وصف الحق بأنهم "مِن رَّبِّهِمْ" تعظيماً وتشريفاً له ، ولمن اتبعه من المؤمنين ، وفي تكرار" ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ" وقد ورد في الآية السابقة إشارة إلى ترابط الآيتين مع التأكيد على أنه نعمة يهبها الله لعباده المؤمنين والعطف بين الجملتين " بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ" لاتحادهما في الخبرية مع وجود الجامع بينهما، وهو التضاد فإن وراء الارتباط في اللفظ انتقالاً من النقيض إلى النقيض في المعنى ، وفيه حث للعقول على الموازنة بين الفريقين ، وقد أخذ التركيب في تدعيم نتيجة المقارنة، وختم بقوله"كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ" فقد جعل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الله اتباع الباطل مثلاً لأعمال الكفار،واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين، أو في جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً للفوز المؤمنين"(١).

وبذلك ربط ختام الآية بمضمونها ليجعل المتلقي في اتصال مع بناء التركيب.

وفي استخدام الفعل المضارع" يضرب" ما يشير إلى دقة النظم القرآني حيث يفيد تحري المثال المتجددة، والتي تخص الناس جميعا، و تبرز مدى الاحتياج لتلك الأمثال فهم في حاجة دائمة ومتكررة ، وتختلف باختلاف الزمان والمكان الذي يحى فيه الناس .

وفي تقديم الجار والمجرور مع إضافة الأمثال لهم" لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ " مايفيد بقرب هذه الأمثال من قلوبهم ، كما ينبه على ضرورة التأمل فيها والاستفادة منها ، فقد ذكرت لهم خاصة ، لكي تعود بالنفع عليهم .

والجملة تعتبر تذييلاً مقرراً لما قبله من مضمون الآيات السابقة ، وبذلك يبين للناس أحوالهم حتى لايكونوا في غفلة ، بل يكونوا على بصيرة من شؤونهم.

وقد جمعت الآية في نظمها أكثر من محسن بديعي فالمقابلة بين قوله "بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ "، وقوله " وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ" ونلحظ أن الحديث جاء مع الكافرين محدداً، أما الحديث عن المؤمنين فكان أكثر اتساعاً، ليبين أن الاتباع وإن كان فيه خضوع وتنفيذ ، فهناك فرق شاسع بينهما ، فالمؤمن اتبع طريق الحق ، ففاز برضوان الله، أما الكافر فقد اختار لنفسه منهجاً اتبع فيه الشيطان، فكان الضلال والخسران .

---

١ – الكشاف: ٢٦١/٥.

والمقابلة في الآيات يستدعي بعضها بعضاً، لذا فهي أوضح في الدلالة على المعنى." والمقابلة من وادي تداعي المعاني حين تنتقل النفس من النقيض إلى النقيض ، والمعاني تتضح بالمقابلة ، وتتمكن في النفس، لأنها تقترن بأضدادها"([1]).

والجمع بين التفريق ، حيث فرق بين جزاء الذين كفروا ، وجزاء المؤمنين في الآية السابقة ، ثم جمعهم في الآية فقال"ذلك" وجاء لفظ "ذلك" إشارة إلى الآيتين السابقتين فكان اللف ثم جاء النشر مرئياً بقوله " بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡ" فجعل لكل فريق منهما ما يناسبه من بيان سبب الجزاء السابق ، و اللف والنشر من المحسنات البديعية التي تعمل على تهيئة النفوس وإثارة الانتباه ، وإعمال الفكر، فإذا ذكرت استقام المعنى.

من ملامح الإعجاز في الآية الكريمة:

الإعجاز في القرآن الكريم: الإعجاز لغةً: مصدر للفعل أعجزَ، إعجازًا فهو مُعجزٌ، والإعجاز من العجز والضعف، وعدم القدرة على القيام بالفعل، والقرآن الكريم معجزة سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– الكبرى، التي نزّلها الله –سبحانه وتعالى– على قلبه، لتظلّ باقية على مرّ الأجيال ، راسخةً في قلوب المؤمنين، يعجزُ عن الإتيان بمثلها الكافرون، باقية بقاء البشرية على الأرض، ويبقى تحدّي الله –سبحانه وتعالى– للمشركين بها، باقيًا حتى تقوم الساعة، فقد تحدّى به أهلَ الفصاحة والبيان، قال تعالى في محكم التنزيل: "وما ينطق عن الهوى * إنْ هو إلا وحي يوحى" ([2])، ولم

١- نشأة الفنون البلاغية : أ.د/ حمزة الدمرداش ص١٨٦.

٢- النجم ٣-٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقتصر القرآن الكريم على الإعجاز البياني فقط، بل حمل في طيّاتِهِ إعجـــازًا علميًّا، وبلاغيًّا، وتاريخيًّا، وتشريعيًّا.

الإعجاز البيـاني: الإعجاز هو الضعف وعدم القدرة على القيام بالشيء، والبيان هو الإفصاح والإبلاغ عن معنى عميق دون اســتطراد وتوسّــع أو إطناب، والإعجاز البياني في القرآن الكريم هو الدّقّة فــي اختيــار كلمــات القرآن وترتيبها بصورٍ بديعة، وببلاغة متناهية، وهو تأدية المعنى المطلوب بأبلغ الطرق، التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، وهذه الصور تُظهر بلاغة الكلام وفصاحته، دون غموض وإبهام، بل بشكل واضح للناس، حيث يفهمها القارئ، ويتدبر أحكامها، فهو واضح، معجزٌ في وقت واحد؛ لأنّه كتــاب الله -سبحانه وتعالى- الذي تحدّى به العرب، أصحاب البلاغة والبيــان، وكــان التحدّي الإلهي على مراحل متفرقة، فقد وردتْ في كتاب الله -عــزّ وجــلّ- آيات تحدّى بها الله المشركين على أن يستطيعوا كتابة مثل هذا الكتاب، قال سبحانه وتعالى: "قلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يــأتوا بمثــلِ هــذا القرآنِ لا يأتونَ بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا" (١). وقد عظُمَ تحدِّي الله للمشركين فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، قال تعــالى فــي محكــم التنزيل: "وإنْ كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بســورة مــن مثلــهِ وادعوا شهداءكم من دونِ الله إن كنتمْ صادقين" (٢)، وما زال هذا التحــدي الإلهي قائما ما دامت البشرية، فالقرآن معجزة باقية حتى قيام الساعة. .

أمثلة على الإعجاز البياني في القرآن الكريم :إنَّ من بلاغة هذا القرآن العظيم وإعجازه الخالد أن كل كلمة فيه وكل حرف وضع في موضعه المناسب مــن

١- الإسراء ٨٨.

٢- البقرة ٢٣.

السياق، ليعبر عن معنى أو معان لا يطَّلع عليها إلا من له اطلاع واسع على لغة العرب، أو من رزقه الله -تعالى- تدبُّرَ كتابه، ونوَّر قلبه، وألهمه دقيقَ المعاني، فكلُّ جملة أو كلمة أو حرف في كتاب الله -تعالى- وضع في موضعٍ يناسبه مناسبةً عجيبة، ومنْ الأمثلة على ذلك: في بداية سورة الحديد وحدها جاء قول الله تعالى: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (١)، وفي غيرها من المسبحات جاء قوله تعالى: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" (٢)؛ وذلك لأنّ سورة الحديد تضمنت الاستدلال على عظمة الله تعالى وصفاته وانفراده بخلق السماوات والأرض فكان دليل ذلك هو مجموع ما احتوت عليه السماوات والأرض من أصناف الموجودات فجمع ذلك كله في اسم واحد هو "ما" الموصولة التي صلتها قوله تعالى: "في السماوات والأرض". أما سورة الحشر أو الصف، أو الجمعة، أو التغابن فقد سِيقتْ لنعمة الله -تعالى- ومنَّتهِ على المسلمين، في حوادث أرضية مختلفة؛ فناسب أن يذكر أهل الأرض باسم موصول خاصٍّ بهم وهو "ما" الموصولة الثانية التي صلتها "في الأرض"، وجيء بفعل التسبيح في فواتح سور الحديد والحشر والصف بصيغة الماضي للدلالة على أن التسبيح قد استقر في قديم الزمان، وجيء به في سورة الجمعة والتغابن بصيغة المضارع للدلالة على تجدده ودوامه، فاكتمل المعنى بهذا الإعجاز البياني في فواتح هذه السور، وإنّما هذا يدلّ على عظمة الله سبحانه، وعظمة كتابه الخالد، وعظمة هذا الدين.

١- الحديد ١.

٢- الحشر ١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قال الدكتور فاضل السامرائي في كتابه "لمسات بيانية": هناك قاعدة في القرآن الكريم، سواء في أهل الجنّة أم في أهل النَّار، إذا كان المقام مقام تفصيل الجزاء أو في مقام الإحسان في الثواب، أو الشدة في العقاب يذكر كلمة (أبدًا)، وإذا كان في مقام الإيجاز لا يذكرها، والمثال على هذا ما ورد في كتابه العزيز: "وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا" (١)، وهذه الآية فيها تفصيل للجزاء فذكر فيها (أبدًا)، أما في قوله تعالى: "تلك حدودُ الله ومنْ يُطعِ الله ورسولَهُ يدخلْهُ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها وذلكَ الفوزُ العظيم" (٢)، أما هذه الآية فليس فيها تفصيل، فلم يذكر (أبدًا)، فالتفصيل زيادة في الجزاء، ويتسع في قوله (أبدًا) فيُضيف إكرامًا إلى ما هم فيه من إكرام، وكذلك في العذاب، وقد وردت في القرآن الكريم جملة: "خالدين فيها أبدًا" في أهل الجنة، ثماني مرات، ووردت في أهل النار ثلاث مرات، وهذا من رحمة الله -سبحانه وتعالى-، لأنّ رحمته سبقت كل شيء عزَّ وجلَّ.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :إنّ المقصودَ بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم: هو إخباره عن حقائقَ علمية لم تكن معروفة للبشرية يوم نزول القرآن على نبينا -صلى الله عليه وسلم-، ولم يكتشف العلمُ هذه الحقائق إلا في وقتنا الحاضر، وهذا الإعجاز العلمي يعتبر دليلًا أيضًا على أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- رسولٌ من عند الله تعالى، وأنَّ ما نطَق به من حقائق علمية دليلٌ واضح على صِدق نبوته، وصدق رسالته التي حملها للبشرية جمعاء، ويحتاج كثير من الناس في وقتنا الحاضر إلى الإقناع العلمي؛ ليتم

---

١ - النساء ٥٧.

٢ - النساء ١٣.

إسلامهم وتطمئن قلوبهم؛ لأنّنا في زمن تقدَّمتْ فيه العلوم تقدمًا أذهل الكثير من الناس، وزلزل عقائد ضعاف الإيمان، وظن هؤلاء أن العقل أصبح قادرًا على كل شيء، وكان جديرًا بهؤلاء أن يزدادَ يقينُهم بالله -تعالى- عن طريق هذه الاكتشافات؛ فما العلم إلا وسيلة مِن الوسائل المهمة التي تعمِّق الإيمان بالله تعالى، قال سبحانه: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (١) ، وإن الإنسان المعاصر اليوم في أشد الحاجة إلى يقين دِينيٍّ يُعيد إليه وَحدته الضائعة، وسعادته المفقودة، وأمنه المسلوب، ولعلَّ أبرز المعجزات العلمية التي أتى بها القرآن الكريم هي معجزة وحدة الكون.

إذْ إنّ النظريات العلمية الحديثة تقول: إنَّ الأرض كانت جزءًا من المجموعة الشمسية ثم انفصلتْ عنها وتبرَّدتْ وأصبحتْ صالحةً للحياة، ويبرهنون على صحة النظرية بوجود البراكين والمواد الملتهبة في باطن الأرض، وقذف الأرض بين حين وحين بهذه الحمم من المواد البركانية الملتهبة، وهذه النظرية تتفق مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: "أولمْ يرَ الذينَ كفرُوا أنَّ السَّماواتِ والأرضَ كانتا رتْقًا ففتَقْناهُمَا وجعلْنَا من الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ أفلا يُؤمنون" (٢).

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

إنَّ القرآن الكريم هو كلامُ الله المعجز في نظمهِ وأسلوبهِ، وفي علومِهِ وحكمِهِ، وفي تأثيرِ هدايتِهِ، أنزلهُ الله نورًا وضياءً لعبادهِ، فهدى به قلوبًا ضلَّتِ السّبيل، وعميتْ عن الحق، فكان ولم يزل معجزة الله الباقية على

١- فصلت ٥٣.

٢- الأنبياء ٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الأرض، فهو مثال حيٌّ للإعجاز البلاغي والإعجاز البياني والعلمي، وبالحديث عن الإعجاز البلاغي فإنّهُ يُعنى بأوجه البلاغة التي يعجز البشر عن مثلها، والبلاغة -كما عرفها أهلها-: هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، وقيل في تعريفها أيضاً: البلاغة: هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنْهَ مرادِهِ مع إيجازٍ بلا إخلالٍ، وإطالةٍ من غير إملالٍ.

والذي لا يشك فيه عاقل منصف هو أن القرآن معجز في فصاحته وبلاغته، معجز في علومه ومعارفه؛ لأنه كلام رب العالمين الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وإنّ من أمثلة الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، قوله -سبحانه وتعالى-: " قالتْ نملةٌ يا أيُّها النّملُ ادخلوا مساكِنَكُمْ لا يحطِمنَّكُم سليمانُ وجنودهُ وهمْ لا يشعُرُونَ" (١) ، وقد قال بعض العلماء: إنّ هذه الآية من عجائب القرآن الكريم لأنها بلفظةِ (يا) نادتْ، و: (أيُّها) نبَّهتْ، و: (النَّملُ) عيَّنَتْ، و: (مساكنكم) نصَّتْ، و: (لا يحطمنكم) حذّرَتْ، و: (سليمان) خصَّتْ، و: (جنودهُ) عمَّتْ، و: (وهمْ لا يشعرون) اعتذرت، فجمع في هذه الآية على لسان النملة بين النداء، والأمر، والنهي، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والاعتذار.

أولاً :تقابل المعاني في الآية الكريمة: فلطبيعة المقابلات التي اتسمت بها السورة مقابلات بين طرفي القتال ، وصفي النزال تأخذ ببصرك ولُبك إلى هذه الجهة تارة ، وإلى الصف المقابل تارةً أخري، وتعيش مع هذه المقابلات وأنت في صف الإيمان أجواء الكر والفر ، وروح التدافع جولة

١- النمل ١٨.

لك على الكفار يفتح الله لك فيها ، وجولة لجند الشيطان يقيك الرحمن شرها ومكرها ، وتظل هكذا على امتداد السورة فى تدافع مستمر متلاحق تتردد أنفاسك بين هجوم ودفاع ، جولة على أرضك وأخرى في ساحة عدوك.

تناولت المقابلات بهذه الصورة التدافعية التي تناسب موضوع السورة وروحها صفات كل الفريقين ، وعاقبة حالهما ومآل أعمالهما في الدنيا والآخرة ، وأسباب هذا الصراع والحكمة من التقدير الرباني لشكل العاقبة تولي الله للمؤمنين وخذلانه للكافرين.

بل إن الإمعان في المقابلة يتجلى عند ذكر وصف الجنة التي أُعدت للمتقين ، حيث ذكر فيها الأنهار التي هي لذة للشاربين ، ليعقبها بسقيا الماء الحميم الذي يقطع أمعاء أهل الجحيم. ”

موضع التقابل : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣ ﴾ محمد: ٣

فالمقابلة بين قوله " بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ "، وقوله " وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ " ونلحظ أن الحديث جاء مع الكافرين محدداً، أما الحديث عن المؤمنين فكان أكثر اتساعاً، ليبين أن الاتباع وإن كان فيه خضوع وتنفيذ ، فهناك فرق شاسع بينهما ، فالمؤمن اتبع طريق الحق ، ففاز برضوان الله، أما الكافر فقد اختار لنفسه منهجاً اتبع فيه الشيطان، فكان الضلال والخسران .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانياً: شمولها لمبطلات الأعمال:

وعلة ذلك أن الكفر اتباع للباطل فكرّ على عمله بالإبطال. إذ ليس الكفر قاعدة راسخة ولا أساساً يبنى عليه، لذا لا ثبات له، فكل عمل بُنِيَ عليه واتصل به فعاقبته الانهيار والسقوط، والضياع، والضلال [ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل]، وهذا يشمل جميع أعمال الكفار الدينية والدنيوية والمعاملات، لا بركة فيها. تجدهم يبنون بناءً اقتصادياً مهولاً شامخاً في نظر أهل الدنيا على مدى عقود من الزمن، فإذا به ينهار في ساعات.

بعكس الإيمان بالله تعالى الذي هو أصل القواعد والذي من أجله خلقت الدنيا، وعليه قامت السموات والأرض، وخلقت المخلوقات، وسنت القوانين. فهو سبب البركة والعلو والعزة، وعليه تؤصل الأصول والأهداف والغايات، وعلى قواعده يثبت البناء [وهو الحق من ربهم]، والحق هو الشيء الثابت ثباتاً راسخاً، فثبت به العمل وزكا.

وهذه قاعدة لجميع الأعمال الدنيوية والأخروية، إذ بركة الحق والتوحيد لا تقتصر على الأعمال التعبدية. لذا تجد أعمال المؤمنين الخالصة سواء الدنيوية والأخروية قد جُلِّلت بالبركة الإلهية، بينما جميع أعمال الكفار الدينية والدنيوية والمعاملات لا بركة فيها. فلما ذكر الكفر والإيمان كان هذا من باب تأصيل القاعدة بأن المبني على التوحيد والإخلاص يبارك فيه، بينما المبني على الكفر والشرك ممحوق لا بركة فيه وهو مخذول، وبه تضرب الأمثال وتقاس في المحق والضياع والهلاك وكذا في البركة [كذلك يضرب الله للناس أمثالهم]، ثم شرع الله تعالى يذكر صوراً عدة للخذلان.

ثالثاً: الفاصلة القرآنية: إنّ قيمة الفاصلة في بلاغة النّظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء، وما كان للقرآن أن يحافظ عليها ويختارها بعناية فيأتي بها متمكّنة في موضعها مستقرّة في نسقها لو لم يكن لها شأن كبير في بلاغته وتحقيق أهدافه؛ حيث تجمع حسن النّظم، مع عذوبة اللّفظ، وكثرة الفائدة، وحسن الدّلالة، فتأتي كالعاقدة للمعاني والبصمة للبنان، «وإنّما حسن في الفواصل .. لأنّه يكتنف الكلام من البيان ما يدلّ على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة"[١].

هكذا تتجلّى روعة البلاغة في القرآن العظيم في فواصل الآيات لاسيما سور المفصل يقول ابن جني: «ألا ترى أنّ العناية في الشّعر إنّما هي بالقوافي؛ لأنّها المقاطع، وفي السّجع كمثل ذلك، نعم وآخر السّجعة والقافية أشرف عندهم من أوّلها والعناية بها أمسّ، والحشد عليها أوفى وأهمّ، وكذلك كلّما تطرّق الحرف في القافية ازداد عناية به، ومحافظة على حكمه»[٢].

١ – الروماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٩٩.

٢– أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الخصائص،ج٨٨/١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

بلاغة الأمثال في التعبير عن أوصاف جنات المؤمنين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد: ٥١

بعد أن أنكر الله – عز وجل– التسوية بين أعمال المؤمنين والكافرين في قوله "أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه....." اتبع ذلك بنفي التسوية بين جزاء كل منهما ، فقال " مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ " بيان جزاء المؤمنين ، وقوله كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ" بيان جزاء الكافرين وهو من وادي تنظير الشيء بنفسه باعتبار حالين أحدهما أوضح في البيان من الأخرى ، فإن المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة ، والمتبع الهوى هو المعذب في النار المنعوتة " (١) لذا جاء صدر الآية الكريمة بلفظ الخبر المثبت ، أما معناها فينطوي على الإنشاء ، ونوعه الاستفهام الذي يفيد النفي والإنكار ، وقد عرى من حرف الإنكار لتصوير مكابرة وعناد من يسوي بين المتمسك ببينة ربه ، وبين المتبع لهواه ، فهو كالذي يسوي بين الجنة والنار ، فبينهما تغاير وتباين لا يخفى على كل ذي لب ، ولكنهم من فرط عنادهم واتباعهم لأهوائهم يصرون على قلب الحقائق الثابتة الراسخة ، وقد أظهر الإمام الزمخشري (٢) حقيقة هذا الاستفهام بقوله "هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله

---

١ – إعراب القرآن وبيانه :٧/٢٠٠.

٢ – الكشاف ٥/٢٦٣.

في حيرة الإنكار، وانخراطه في سلكه وهو قوله" أفمن كان على بينة من ربه" فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي : كمثل من هو خالد في النار، فإن قلت : فلم عري من حروف الانكار؟ و ما فائدة التعرية؟ قلت: تعريته من حروف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه ، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ".

ومعنى المثل: الحال العجيب أي :وصفها العجيب الشأن، وبهذا يصرح من بداية الآية على عجيب ما أعده الله للمؤمنين ،وبدأ الآية بإيجاز الحذف، حيث حذف المسند والتقدير:" مثل الجنة ماتسمعون أو فيما يتلى عليكم مثل الجنة" (١).

وفصلت الآية الكريمة عن الآية السابقة، وذلك لكمال الاتصال ،حيث وقعت بياناً لما أعده الله لمن كان على بينة من ربه ، وهم المؤمنون المتقون ، وما أعده لمن زين له سوء عمله واتبع هواه .

وتعريف" الجنة" باللام للعهد الذهني ، فمعلوم أن الجنة المتحدث عنها هي جنه الآخرة ، لذا قال "وعد المتقون" حيث جاء وصفها ليؤكد على تخصيصها بجنة الآخرة ، وخص المؤمنين بوصف "المتقين" لأنهم جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، وهو الإيمان والعمل الصالح ، فقد حفظوا أنفسهم من ارتكاب كل ما نهاهم الله عنه وذلك لانشغالهم بعمل الطاعات والواجبات.

١- تفسير أبي السعود:٥/٥٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ووصف ما في الجنة " أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ " فوقعت الجملة استئنافاً بيانياً للجملة قبلها" مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ "لذا تيقن الفصل بينهما لشبه كمال الاتصال ،حيث يُفهم من فحواها سؤال تقديره ، ومامثلها؟ فالنفس متطلعة ومتشوقة إلى معرفة ماهو مثلها ، فجاءت هذه الجملة لتكون جواباً للسؤال ، ولايوصل بين السؤال والجواب ، وتقديم الجار والمجرور "فيها" للتأكيد على تخصيص التأكيد بجنة الآخرة ،وهو من قصر الصفة على الموصوف ، ولايمنع ذلك أن تكون للجنة أوصاف أخرى غير التي ذكرت ، ولم يصرح الله – عز وجل– بها، ليزيد الشوق إليها، فتتطلع نفوس المؤمنين إلى ما أعده الله لهم ،أو أن ذكر لهم ما يعلمونه ، وأضمر عنهم مالا يعلمونه ، ليكونوا أشد فرحًا ، وأسعد حالاً عندما يجدونه في الآخرة ، وكل على حسب درجته فى الجنة ، فقد جاء في الحديث الصحيح :قال الله تبارك وتعالى "أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر".

وجاءت "أنهار" بلفظ الجمع مع التنكير لإفادة تعظيمها، وبيان كثرتها، فإنها من الكثرة بحيث لا يعلم عددها إلا الله – عز وجل– وهي من الأمور التي اخفاها الله ، ووصف تلك الأنهار بأنها " مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ "معنى غير آسن: غير متغير الرائحة ، يقال: آسن الماء يأسن ... إذا تغير ريحه تغييراً منكراً"(١).

١- ينظر المفردات ص١٨.

وبدأ الأنهار بما يعرفونه في الدنيا وهو الماء العذب الذي يُمثل أهمية عظيمة ، فعلية مناط الحياة كلها ، قال تعالى "قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنبياء:٣٠.

فبدأ به لبيان شدة الحاجة إليه ، ووصفه بأنه " غَيْرِ ءَاسِنٍ " ومعلوم أن ماء الجنة عذب ، ولكن الله وصفه بتلك الصفة لإفادة المبالغة في وصف ماء الجنة ، فهو أعذب المياه ، وأطيبها ، فقد كانت مياهم في الدنيا يحدث فيها التغيير، وتحتاج إلى التنقية ، لتكون صالحة للاستخدام ،أما ماء الآخرة ، فلا يعتريها حتى تغير رائحتها ، وقد جاء التصوير الكنائي ، ليؤكد على سلامة المياه من الأكدار والشوائب.

وذكر ثانياً أنهار اللبن، فهي غذاء للمؤمنين ، ومعلوم شدة احتياجهم إليه ، فقال: "وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ " فهي نعمة أخرى، لذا عطف على ما قبلها "أنهار من ماء" ليبين على أنها أنهار من حليب أبيض

صافي لم يتغير كألبان الدنيا التي تفسد بمرور الوقت ، لذا عبر النظم القرآني بالتصوير الكنائي" لم يتغير طعمه" كناية عن سلامته من كل ما يفسده مهما طال الوقت.

وذكر ثالثاً:" وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ " إذا كانت الخمر محرمة على المؤمنين في الدنيا ، والتزموا بذلك و ابتعدوا عنها ، فكان جزاؤهم أن تكون لهم في الآخرة بكميات كثيرة ، بل يبدل الله وصفها وجعلها" لذة للشاربين " وقد خصها بهذا الوصف احتراس حسن فإن خمر الدنيا كريهة الطعم، ومذهبة للعقل، و مضيعة للمال ،لايتلذذ بها إلا من فقد مزاجه، أما خمر الآخرة فهى طيبة الطعم ، لا تذهب العقل ، ولا تضيع المال ، ليس فيها إلا

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لذة للشاربين، حتى هذه اللذة ثابتة لكل من يشربها ،لذا قال تعالى "للشاربين" ولم يقل للمؤمنين ، ليشير بذلك إلى أنها تكون حسب اختيارهم وليست رغماً عنهم ، كما يشير النظم بذلك أنها تخص من يشربها ؛ لذا جاء في الحديث الشريف:" من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها من الآخرة".

وذكر رابعاً:" وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى" فالأنهار تجري ممتلئة بالعسل الذي ، هو في غاية الصفاء ، فقد أوجده الله – عز وجل– بقدرته ، ووصفه بقوله "مصفى" بما يلائم طبيعة العسل حيث أكثر كثافة من الماء واللبن والخمر، فهو من ائتلاف اللفظ مع المعنى، كما أفاد التنكير العموم والشمول ليثبت له التصفية من جميع الشوائب والأكدار التي تفقده قيمته .

ويلاحظ أن النظم القرآني بدأ الأنهار بما هومألوف عند العرب ومشاهد وهو ماء الأنهار فهو حقيقة، وجعل اللبن والخمر والعسل يشاركون الماء في تلك الصفة تشبيهاً مما هو مألوف لتقريب الصورة لهم ،فهم لم يعتادوا أن يشاهدوا هذه الأشياء تجري في أنهار، وبذلك يدلك على عجيب صنع الله – عز وجل– وذكر صاحب روح المعاني([1]) بلاغة ترتيب الأنهار حيث قال "وبدىء بالماء لأنه في الدنيا لا يستغنى عنه ، ثم باللبن إذا كان مجرى الطعم لكثير من العرب في كثير من أوقاتهم ، ثم بالخمر لأنه إذا حصل الري والمطعم تشوقت النفس إلى ما يلتذ به ، ثم بالعسل لأن فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم فهو متأخر بالرتبة. وفيه تشويق للمؤمنين إلى هذه الجنة ، ليكون هذا دافعاً إلى العمل الصالح ، لذا لم يكتف النظم القرآني عند الأشربة فقط التي بدأ بها بل جاء الحديث عن المطعومات

١- الآلوسي في روح المعاني ٢٦/٧٤.

مجملاً: فقال " ولهم فيها من كل الثمرات" فالوصل لما بين الجمل من الجامع والترابط ، فالضمير في" فيها "يعود إلى الجنة ، و"من" بيانية ، وقوله" كل الثمرات" التعبير بلفظ العموم" كل " مع التعريف باللام "الثمرات" يشمل كافة أنواع الفواكه التي تشتهيها أنفسهم وفي ذكر الثمرات بعد المشروب :إشارة" إلى أن مأكول أصحاب الجنة للذة لا للحاجة" (١).

وختم ما أعده لهم بقوله" وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ"(٢) إيجاز بحذف المسند إليه تعجيلاً بمايملأ نفوسهم فرحة وسروراً ، فهو نعيم معنوي ، فالمتقون يجمعون بين النعيم المادي والمعنوي ، وفي تنكير" مغفرة" للتعظيم وقد ازداد هذا التعظيم بالوصف " من ربهم" فإن عفو الله – تعالى- عنهم أهلهم للخلود في هذه المسرات التي لا يشوبها كدر، وما هم بخارجين منها"(٣) والجملة كناية عن رضا الله – عز وجل- عن المؤمنين ،وقد عبر بما يدل عليه وهي مغفرة الله –عز وجل-.

وذكر النظم مقابلة ما أعده الله للمؤمنين وما أعده للكافرين ، ونلحظ الفرق الدقيق بينهما من خلال دقة النظم البلاغي حيث قال" كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ" تأكيد الإسناد بضمير الفصل"هو" بين المسند إليه والمسند وذلك لتقوية الحكم ،وهو الخلود في النار ،وقد طوى ذكرهم"هو خالد في النار" كناية عن الذين كفروا تهويناً لشأنهم وتحقيراً لهم ،وللتصريح بمأأعده لهم ليكون أشد تأثيراً في نفوسهم.

---

١ – ينظر الأضواء على متشابهات القرآن ٢٠٩/٢.

٢ – حاشية زاده علي البيضاوي ٣٤٨/٣.

٣ – التفسير البلاغي للاستفهام ١١٩/٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونلمح التشبيه([1]) من بداية الجملة "كمن هو خالد....." وفي إيثار أداة التشبيه الكاف لطفة بلاغية ، فالكاف تصرح على أن في الكلام تشبيهاً فإذا تتبعنا طرفا التشبيه ، نجد المشبه غير ظاهر الوضوح يحتاج إلى تأمل وفكر حتى تستنبطه ، أما المشبه به فهو واضح "هو خالدٌ" في النار.

و هذا التشبيه يرمي إلى نفى التسوية بين المؤمنين والكافرين رداً على زعم التسوية بينهما ،و إنكاراً له على ما ذهب إليه ، وأطلق الخاص" من هو خالدٌ في النار" وأراد عموم الحكم حيث قال " وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ" إذ جمع لهم حكماً آخر يشتركون فيه ، وهو قوله وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا " حيث عبر بالجمع ، تصريحاً بشمولية الحكم فيتنوع النظم بين التلميح والتصريح ، و بناء الفعل للمجهول "سقوا" اهتماماً بالفعل نفسه ، وبياناً لفظاعته فلا يستطيعون فعله بأنفسهم ، بل يقوم غيرهم بذلك ، ليظهر الفرق بين مشروبات أهل الجنة ، حيث يتنعمون بأنفسهم بتلك المشروبات أما أهل النار فيشربونه كراهية؛ لأنه للعذاب ، ووصفه بقوله" مَآءً حَمِيمًا " تنكير الماء للتحقير مع بيان كثرته ، وقوله" حَمِيمًا " بياناً لشدته و فظاعته لذا أعقبه بقوله" فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ " فقد تسبب هذا الماء المغلي بتقطيع الأمعاء ولن يحدث هذا مرة واحدة، وإنما يأتي تكراراً حيث أفاد تشديد الفعل "قطع "التكرار ، وطوى ذكر طعام أهل النار، واكتفى بما هو مشروب وذلك لأن الماء الحميم يُقطع أمعائهم فور شرابه ، و بتكراره فلن يكون لهم طعاماً يتذوقونه ، وقد أشار إليه القرآن الكريم في موضع آخر: فالطعام لا يكون إلا لزيادة عذابهم،

١- ينظر التصوير الفني في القرآن ص٢٤.

ومما يؤكد ذلك أن طعام المؤمنين ليس لحاجة، وإنما هو لذة، فهو من أصناف النعيم التي أعدها الله للمؤمنين.

من ملامح الإعجاز في الآية الكريمة:

الموضع الثالث:أولاً: تقابل المعاني: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد: ٥١

لَمَّا بَيَّنَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الِاهْتِدَاءِ وَالضَّلَالِ بَيَّنَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي مَرْجِعِهِمَا وَمَآلِهِمَا ، وَكَمَا قَدَّمَ "مَنْ" عَلَى "الْبَيِّنَةِ" فِي الذِّكْرِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ ، قَدَّمَ حَالَهُ فِي مَآلِهِ عَلَى حَالِ مَنْ هُوَ بِخِلَافِ حَالِهِ ، وَفِي التَّفْسِيرِ مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : قَوْلُهُ تَعَالَى) : مَثَلُ الْجَنَّةِ (يَسْتَدْعِي أَمْرًا يُمَثَّلُ بِهِ فَمَا هُوَ ؟ نَقُولُ فِيهِ وُجُوهٌ : الْأَوَّلُ : قَوْلُ سِيبَوَيْهِ حَيْثُ قَالَ : الْمَثَلُ هُوَ الْوَصْفُ مَعْنَاهُ وَصْفُ الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ لَا يَقْتَضِي مُمَثَّلًا بِهِ ، وَعَلَى هَذَا فَفِيهِ احْتِمَالَانِ أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ مَحْذُوفًا وَيَكُونَ " مَثَلُ الْجَنَّةِ " مُبْتَدَأً تَقْدِيرُهُ فِيمَا قَصَصْنَاهُ مَثَلُ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ وَيَقُولُ : " فِيهَا أَنْهَارٌ " ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ يَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى) : تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] (الْبَقَرَةِ : ٢٥] ابْتِدَاءَ بَيَانٍ.

وَالِاحْتِمَالُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ "فِيهَا أَنْهَارٌ" وَقَوْلُهُ : " تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا " خَبَرًا ، كَمَا يُقَالُ : صِفْ لِي زَيْدًا ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ : زَيْدٌ أَحْمَرُ قَصِيرٌ ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ الْمَثَلَ زِيَادَةٌ وَالتَّقْدِيرُ : الْجَنَّةُ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ . الْوَجْهُ الثَّانِي : هَهُنَا الْمُمَثَّلُ بِهِ مَحْذُوفٌ غَيْرُ مَذْكُورٍ وَهُوَ يَحْتَمِلُ قَوْلَيْنِ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أَحَدُهُمَا : قَالَ الزَّجَّاجُ حَيْثُ قَالَ) : مَثَلُ الْجَنَّةِ (جَنَّةٌ تَجْرِي) : فِيهَا أَنْهَارٌ (كَمَا يُقَالُ مَثَلُ زَيْدٍ رَجُلٌ طَوِيلٌ أَسْمَرُ فَيَذْكُرُ عَيْنَ صِفَاتِ زَيْدٍ فِي رَجُلٍ مُنْكَرٍ لَا يَكُونُ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا زَيْدًا.

الثَّانِي : مِنَ الْقَوْلَيْنِ هُوَ أَنْ يُقَالَ مَعْنَاهُ) : مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ (مَثَلٌ عَجِيبٌ ، أَوْ شَيْءٌ عَظِيمٌ أَوْ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ) :فِيهَا أَنْهَارٌ (كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا مُحَقِّقًا لِقَوْلِنَا : مَثَلٌ عَجِيبٌ .

الْوَجْهُ الثَّالِثُ : الْمُمَثَّلُ بِهِ مَذْكُورٌ وَهُوَ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ حَيْثُ قَالَ : (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) { مُحَمَّدٍ : ١٥] مُشَبَّهٌ بِهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِنْكَارِ ، وَحِينَئِذٍ فَهَذَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ حَرَكَاتُ زَيْدٍ أَوْ أَخْلَاقُهُ كَعَمْرٍو ، وَكَذَلِكَ عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ ، إِمَّا عَلَى تَأْوِيلِ كَحَرَكَاتِ عَمْرٍو أَوْ عَلَى تَأْوِيلِ زَيْدٌ فِي حَرَكَاتِهِ كَعَمْرٍو ، وَكَذَلِكَ هَهُنَا كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : مَثَلُ الْجَنَّةِ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَهَذَا أَقْصَى مَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَرَّرَ بِهِ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ ، وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى :(فِيهَا أَنْهَارٌ) وَمَا بَعْدَ هَذَا جُمَلٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ وَقَعَتْ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ كَمَا يُقَالُ : نَظِيرُ زَيْدٍ فِيهِ مُرُوءَةٌ وَعِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَهُ أَصْلُ عَمْرٍو.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) . اخْتَارَ الْأَنْهَارَ مِنَ الْأَجْنَاسِ الْأَرْبَعَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَشْرُوبَ إِمَّا أَنْ يُشْرَبَ لِطَعْمِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يُشْرَبَ لِأَمْرٍ غَيْرِ عَائِدٍ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنْ كَانَ لِلطَّعْمِ فَالطُّعُومُ تِسْعَةٌ : الْمُرُّ وَالْمَالِحُ وَالْحِرِّيفُ وَالْحَامِضُ وَالْعَفِصُ وَالْقَابِضُ وَالتَّفِهُ وَالْحُلْوُ وَالدَّسِمُ ؛ أَلَذُّهَا الْحُلْوُ وَالدَّسِمُ ، لَكِنْ أَحْلَى الْأَشْيَاءِ الْعَسَلُ فَذَكَرَهُ ، وَأَمَّا أَدْسَمُ الْأَشْيَاءِ فَالدُّهْنُ ، لَكِنَّ الدُّسُومَةَ إِذَا تَمَحَّضَتْ لَا تَطِيبُ لِلْأَكْلِ وَلَا لِلشُّرْبِ ، فَإِنَّ الدُّهْنَ لَا يُؤْكَلُ وَلَا يُشْرَبُ كَمَا هُوَ فِي الْغَالِبِ وَأَمَّا اللَّبَنُ فِيهِ الدَّسَمُ الْكَائِنُ فِي غَيْرِهِ

وَهُوَ طَيِّبٌ لِلْأَكْلِ وَبِهِ تَغْذِيَةُ الْحَيَوَانِ أَوَّلًا فَذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَمَّا مَا يُشْرَبُ لِأَمْرٍ عَائِدٍ إِلَى الطَّعْمِ فَالْمَاءُ وَالْخَمْرُ فَإِنَّ الْخَمْرَ فِيهَا أَمْرٌ يَشْرَبُهَا الشَّارِبُ لِأَجْلِهِ ، وَهِيَ كَرِيهَةُ الطَّعْمِ بِاتِّفَاقِ مَنْ يَشْرَبُهَا وَحُصُولِ التَّوَاتُرِ بِهِ ، ثُمَّ عَرَّى كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْأَرْبَعَةِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ الَّتِي هِيَ فِيهَا وَتَتَغَيَّرُ بِهَا الدُّنْيَا ، فَالْمَاءُ يَتَغَيَّرُ ، يُقَالُ : أَسِنَ الْمَاءُ يَأْسَنُ عَلَى وَزْنِ أَمِنَ يَأْمَنُ فَهُوَ آسِنٌ ، وَأَسِنَ اللَّبَنُ إِذَا بَقِيَ زَمَانًا تَغَيَّرَ طَعْمُهُ ، وَالْخَمْرُ يَكْرَهُهُ الشَّارِبُ عِنْدَ الشُّرْبِ ، وَالْعَسَلُ يَشُوبُهُ أَجْزَاءٌ مِنَ الشَّمْعِ وَمِنَ النَّحْلِ يَمُوتُ فِيهِ كَثِيرًا ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَطَ الْجِنْسَيْنِ فَذَكَرَ الْمَاءَ الَّذِي يُشْرَبُ لَا لِلطَّعْمِ وَهُوَ عَامُّ الشُّرْبِ ، وَقَرَنَ بِهِ اللَّبَنَ الَّذِي يُشْرَبُ لِطَعْمِهِ وَهُوَ عَامُّ الشُّرْبِ إِذْ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكَانَ شُرْبُهُ اللَّبَنَ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْخَمْرَ الَّذِي يُشْرَبُ لَا لِلطَّعْمِ وَهُوَ قَلِيلُ الشُّرْبِ ، وَقَرَنَ بِهِ الْعَسَلَ الَّذِي يُشْرَبُ لِلطَّعْمِ وَهُوَ قَلِيلُ الشُّرْبِ ، فَإِنْ قِيلَ : الْعَسَلُ لَا يُشْرَبُ ، نَقُولُ شَرَابُ الْجُلَّابِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مِنَ الْعَسَلِ وَالسُّكَّرِ قَرِيبُ الزَّمَانِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ السَّكَنْجَبِينَ مِنْ "سركه وانكبين" وَهُوَ الْخَلُّ وَالْعَسَلُ بِالْفَارِسِيَّةِ كَمَا أَنَّ اسْتِخْرَاجَهُ كَانَ أَوَّلًا مِنَ الْخَلِّ وَالْعَسَلِ وَلَمْ يُعْرَفِ السُّكَّرُ إِلَّا فِي زَمَانٍ مُتَأَخِّرٍ ، وَلِأَنَّ الْعَسَلَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ عَسَلِ النَّحْلِ حَتَّى يُقَالَ : عَسَلُ النَّحْلِ لِلتَّمْيِيزِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : قَالَ فِي الْخَمْرِ) : لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (وَلَمْ يَقُلْ فِي اللَّبَنِ : لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ لِلطَّاعِمِينَ ، وَلَا قَالَ فِي الْعَسَلِ : مُصَفًّى لِلنَّاظِرِينَ ؛ لِأَنَّ اللَّذَّةَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ فَرُبَّ طَعَامٍ يَلْتَذُّ بِهِ شَخْصٌ وَيَعَافُهُ الْآخَرُ ، فَقَالَ :(لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) بِأَسْرِهِمْ وَلِأَنَّ الْخَمْرَ كَرِيهَةُ الطَّعْمِ فَقَالَ : (لَذَّةٍ) أَيْ لَا يَكُونُ فِي خَمْرِ الْآخِرَةِ كَرَاهَةُ الطَّعْمِ ، وَأَمَّا الطَّعْمُ وَاللَّوْنُ فَلَا يَخْتَلِفَانِ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ ، فَإِنَّ الْحُلْوَ وَالْحَامِضَ وَغَيْرُهُمَا يُدْرِكُهُ كُلُّ أَحَدٍ كَذَلِكَ ، لَكِنَّهُ قَدْ يَعَافُهُ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بَعْضُ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ بِهِ الْبَعْضُ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّ لَهُ طَعْمًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ اللَّوْنُ فَلَمْ يَكُنْ إِلَى التَّصْرِيحِ بِالتَّعْمِيمِ حَاجَةٌ ، وَقَوْلُهُ : (لَذَّةٍ) يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ تَأْنِيثُ "لَذٍّ" يُقَالُ : طَعَامٌ لَذٌّ وَلَذِيذٌ وَأَطْعِمَةٌ لَذَّةٌ وَلَذِيذَةٌ. وَثَانِيهِمَا : أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَصْفًا بِنَفْسِ الْمَعْنَى لَا بِالْمُشْتَقِّ مِنْهُ كَمَا يُقَالُ لِلْحَلِيمِ هُوَ حِلْمٌ كُلُّهُ وَهُوَ عَاقِلٌ كُلُّهُ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) .بَعْدَ ذِكْرِ الْمَشْرُوبِ أَشَارَ إِلَى الْمَأْكُولِ ، وَلَمَّا كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْأَكْلُ لِلَذَّةٍ لَا لِلْحَاجَةِ ذَكَرَ الثِّمَارَ فَإِنَّهَا تُؤْكَلُ لِلَذَّةِ بِخِلَافِ الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّعْدِ) : مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا] (الرَّعْدِ : ٣٥] حَيْثُ أَشَارَ إِلَى الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ ، وَهَهُنَا لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِيهَا) : وَظِلُّهَا (وَلَمْ يَقُلْ هَهُنَا ذَلِكَ ، نَقُولُ : قَالَ هَهُنَا : (وَمَغْفِرَةٌ) وَالظِّلُّ فِيهِ مَعْنَى السَّتْرِ وَالْمَغْفِرَةِ كَذَلِكَ ، وَلِأَنَّ الْمَغْفُورَ تَحْتَ نَظَرِ مِنْ رَحْمَةِ الْغَافِرِ يُقَالُ : نَحْنُ تَحْتَ ظِلِّ الْأَمِيرِ ، وَظِلُّهَا هُوَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَمَغْفِرَتُهُ حَيْثُ لَا يَمَسُّهُمْ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ .

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : الْمُتَّقِي لَا يَدْخُلُ إِلَّا بَعْدَ الْمَغْفِرَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا مَغْفِرَةٌ ؟ فَنَقُولُ : الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ : الْأَوَّلُ : لَيْسَ بِلَازِمٍ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ فِيهَا ، بَلْ يَكُونُ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ : (لَهُمْ) كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُمْ : الثَّمَرَاتُ فِيهَا وَلَهُمُ الْمَغْفِرَةُ قَبْلَ دُخُولِهَا .

وَالثَّانِي : هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَهُمْ فِيهَا مَغْفِرَةٌ أَيْ : [رَفْعَ التَّكْلِيفَ عَنْهُمْ فَيَأْكُلُونَ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الثِّمَارَ فِيهَا عَلَى حِسَابٍ أَوْ عِقَابٍ ، وَوَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ الْآكِلَ فِي الدُّنْيَا لَا يَخْلُو عَنِ اسْتِنْتَاجِ قَبِيحٍ أَوْ مَكْرُوهٍ كَمَرَضٍ أَوْ حَاجَةٍ إِلَى تَبَرُّزٍ ، فَقَالَ) : وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

وَمَغْفِرَةٌ (لَا قَبِيحَ عَلَى الْآكِلِ بَلْ مَسْتُورُ الْقَبَائِحِ مَغْفُورٌ ، وَهَذَا اسْتَفَدْتُهُ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ فِي بِلَادِنَا فَإِنَّهُمْ يُعَوِّدُونَ الصِّبْيَانَ بِأَنْ يَقُولُونَ وَقْتَ حَاجَتِهِمْ إِلَى إِرَاقَةِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ : يَا مُعَلِّمُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، فَيَفْهَمُ الْمُعَلِّمُ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ الْإِذْنَ فِي الْخُرُوجِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ فَيَأْذَنُ لَهُمْ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَعْنَاهُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ غَفَرَ لِمَنْ أَكَلَ ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا ، فَلِأَنَّ لِلْأَكْلِ تَوَابِعُ وَلَوَازِمُ لَا بُدَّ مِنْهَا فَيَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِمْ حَاجَتَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) وَفِيهِ أَيْضًا مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ) : مَثَلُ الْجَنَّةِ (مَعْنَاهُ وَصْفُ الْجَنَّةِ ، فَقَوْلُهُ) : كَمَنْ هُوَ (بِمَاذَا يَتَعَلَّقُ ؟ نَقُولُ قَوْلُهُ :(وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) يَتَضَمَّنُ كَوْنَهُمْ فِيهَا فَكَأَنَّهُ قَالَ : هُوَ فِيهَا كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، فَالْمُشَبَّهُ يَكُونُ مَحْذُوفًا مَدْلُولًا عَلَيْهِ بِمَا سَبَقَ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ مَا قِيلَ فِي تَقْرِيرِ قَوْلِ الزَّمَخْشَرِيِّ أَنَّ الْمُرَادَ هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي مَثَّلَهَا مَا ذَكَرْنَا كَمَقَامِ مَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : قَالَ الزَّجَّاجُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) رَاجِعٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) وَهُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ فَهَلْ هُوَ صَحِيحٌ أَمْ لَا ؟ نَقُولُ لَنَا نَظَرٌ إِلَى اللَّفْظِ فَيُمْكِنُ تَصْحِيحُهُ بِتَعَسُّفٍ وَنَظَرٍ إِلَى الْمَعْنَى لَا يَصِحُّ إِلَّا بِأَنْ يَعُودَ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، أَمَّا التَّصْحِيحُ فَبِحَذْفِ كَمَنْ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ أَوْ جَعْلِهِ بَدَلًا عَنِ الْمُتَقَدِّمِ أَوْ بِإِضْمَارِ عَاطِفٍ يَعْطِفُ) : كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ (عَلَى) : (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) أَوْ (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) ، وَأَمَّا التَّعَسُّفُ فَبَيِّنٌ نَظَرًا إِلَى الْحَذْفِ وَإِلَى الْإِضْمَارِ مَعَ الْفَاصِلِ الطَّوِيلِ بَيْنَ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ ، وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْبَدَلِ فَفَاسِدَةٌ وَإِلَّا لَكَانَ الِاعْتِمَادُ عَلَى الثَّانِي فَيَكُونُ كَأَنَّهُ قَالَ : أَفَمَنْ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ ؟ وَهُوَ سَمِجٌ فِي التَّشْبِيهِ تَعَالَى كَلَامُ اللَّـهِ عَنْ ذَلِكَ ، وَالْقَوْلُ فِي إِضْمَارِ الْعَاطِفِ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْطُوفَ أَيْضًا يَصِيرُ مُسْتَقِلًّا فِي التَّشْبِيهِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : الْمَجْمُوعُ بِالْمَجْمُوعِ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ ، كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَهُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ؟ وَعَلَى هَذَا تَقَعُ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَ مَنْ هُوَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَبَيْنَ مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ، وَبَيْنَ مَنْ فِي الْجَنَّةِ وَبَيْنَ مَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فَلَا حَاجَةَ إِلَى خَلْطِ الْآيَةِ بِالْآيَةِ ، وَكَيْفَ وَعَلَى مَا قَالَهُ تَقَعُ الْمُقَابَلَةُ بَيْنَ مَنْ هُوَ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا وَبَيْنَ مَنْ هُوَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَأَيَّةُ مُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْوُجُوهِ الْأُخَرِ، فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ بَيْنَ الْجَنَّةِ الَّتِي فِيهَا الْأَنْهَارُ وَبَيْنَ النَّارِ الَّتِي فِيهَا الْمَاءُ الْحَمِيمُ وَذَلِكَ تَشْبِيهُ إِنْكَارٍ مُنَاسِبٍ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : قَالَ : (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ) حَمْلًا عَلَى اللَّفْظِ الْوَاحِدِ وَقَالَ :(وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) عَلَى الْمَعْنَى وَهُوَ جَمْعٌ وَكَذَلِكَ قَالَ مِنْ قَبْلُ) : كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ (عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِفْرَادِ) : وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (عَلَى الْجَمْعِ فَمَا الْوَجْهُ فِيهِ ؟ نَقُولُ : الْمُسْنَدُ إِلَى " مَنْ " إِذَا كَانَ مُتَّصِلًا فَرِعَايَةُ اللَّفْظِ أَوْلَى لِأَنَّهُ هُوَ الْمَسْمُوعُ ، إِذَا كَانَ مَعَ انْفِصَالٍ فَالْعَوْدُ إِلَى الْمَعْنَى أَوْلَى ، لِأَنَّ اللَّفْظَ لَا يَبْقَى فِي السَّمْعِ ، وَالْمَعْنَى يَبْقَى فِي ذِهْنِ السَّامِعِ فَالْحَمْلُ فِي الثَّانِي عَلَى الْمَعْنَى أَوْلَى ، وَحَمْلُ الْأَوَّلِ عَلَى اللَّفْظِ أَوْلَى ، فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ قَالَ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ) : مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا] (الْكَهْفِ : ٨٨] وَفَمَنْ تَابَ وَأَصْلَحَ ؟ نَقُولُ : إِذَا كَانَ الْمَعْطُوفُ مُفْرَدًا أَوْ شَبِيهًا بِالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي الْمَعْنَى فَالْأَوْلَى أَنْ يَخْتَلِفَا كَمَا ذَكَرْتُ فَإِنَّهُ عَطْفُ مُفْرَدٍ عَلَى مُفْرَدٍ وَكَذَلِكَ لَوْ قَالَ : كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَمُعَذَّبٌ فِيهَا لِأَنَّ الْمُشَابَهَةَ تُنَافِي الْمُخَالَفَةَ ،

وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ) : سُقُوا مَاءً (جُمْلَةٌ غَيْرُ مُشَابِهَةٍ لِقَوْلِهِ : (هُوَ خَالِدٌ) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) بَيَانٌ لِمُخَالَفَتِهِمْ فِي سَائِرِ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَهُمْ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَلَهُمْ مَاءٌ حَمِيمٌ ، فَإِنْ قِيلَ : الْمُشَابَهَةُ الْإِنْكَارِيَّةُ بِالْمُخَالَفَةِ عَلَى مَا ثَبَتَ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ الْبَعْضَ وَقُلْتُ بِأَنَّ قَوْلَهُ) : عَلَى بَيِّنَةٍ (فِي مُقَابَلَةِ) : زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ (وَ (مِنْ رَبِّهِ) فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ) وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (وَالْجَنَّةُ فِي مُقَابَلَةِ النَّارِ فِي قَوْلِهِ) : خَالِدٌ فِي النَّارِ (وَالْمَاءُ الْحَمِيمُ فِي مُقَابَلَةِ الْأَنْهَارِ ، فَأَيْنَ مَا يُقَابِلُ قَوْلَهُ) : وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ (فَنَقُولُ : تَقَطُّعُ الْأَمْعَاءِ فِي مُقَابَلَةِ مَغْفِرَةٍ ؛ لِأَنَّا بَيَّنَّا عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ أَنَّ الْمَغْفِرَةَ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ هِيَ تَعْرِيَةٌ أَكْلِ الثَّمَرَاتِ عَمَّا يَلْزَمُهُ مِنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ وَالْأَمْرَاضِ وَغَيْرِهَا ، كَأَنَّهُ قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ أَكْلٌ وَشُرْبٌ مُطَهَّرٌ طَاهِرٌ لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِهِمْ فَيُؤْذِيهِمْ وَيُحْوِجُهُمْ إِلَى قَضَاءِ حَاجَةٍ ، وَلِلْكَافِرِ مَاءٌ حَمِيمٌ فِي أَوَّلِ مَا يَصِلُ إِلَى جَوْفِهِمْ يَقْطَعُ أَمْعَاءَهُمْ وَيَشْتَهُونَ خُرُوجَهُ مِنْ جَوْفِهِمْ ، وَأَمَّا الثِّمَارُ فَلَمْ يَذْكُرْ مُقَابِلَهَا؛ لِأَنَّ فِي الْجَنَّةِ زِيَادَةٌ مَذْكُورَةٌ فَحَقَّقَهَا بِذِكْرِ أَمْرٍ زَايِدٍ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ : الْمَاءُ الْحَارُّ يَقْطَعُ أَمْعَاءَهُمْ لِأَمْرٍ آخَرَ غَيْرَ الْحَرَارَةِ ، وَهِيَ الْحِدَّةُ الَّتِي تَكُونُ فِي السُّمُومِ الْمَدُوفَةِ ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْحَرَارَةِ لَا يَقْطَعُ ، فَإِنْ قِيلَ : قَوْلُهُ تَعَالَى) :فَقَطَّعَ (بِالْفَاءِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْقَطْعُ بِمَا ذُكِرَ ، نَقُولُ : نَعَمْ ، لَكِنَّهُ لَا يَقْتَضِي أَنْ يُقَالَ : يَقْطَعُ ، لِأَنَّهُ مَاءٌ حَمِيمٌ فَحَسْبُ ، بَلْ مَاءٌ حَمِيمٌ مَخْصُوصٌ يَقْطَعُ. (١)

---

١ – الفخر الرازي ص٤٨: ٥٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثانياً: الإيقاع الصوتي:

كان للتصوير عن طريق الإيقاع الصوتي ما يروع ويدهش إذ تجدك أسير لهذا السحر الذي ينبعث من تلك الأصوات التي تنبع من جوف الحروف في الكلمه الواحدة على نحو يتلاءم فيه المبنى مع المعنى ومن الكلمات مجتمعة حينما ربطها بنسق واحد يُلقي الموقف للموضوع بظلاله عليه فيكون إنعكاسه لجوه .

عندما تحدث عن مشهد لهم في النار :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد: ٥١

ثالثاً :التلاؤم بين المعنى واللفظ واضح في الكلمة القرآنية ، والمتأمل في الآيات الكريمة يجدها في قمة الإعجاز البلاغي ، وهي سمة القرآن الكريم كاملاً ، فلا يوجد فيه ترادفاً ، فكل كلمة في الآيات استعملت استعمالاً دقيقاً ، ووضعت في مكانها الذي خلق لها ، لتؤدي المعنى الذي خلقت له، وهذا سر من إعجاز القرآن الكريم.

الخاتمة

مع خاتمة هذا البحث، أوجز خلاصة المباحث التي تناولتها، ثم أشير إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها فيما يأتي:

في المبحث الأول استعرضت الفارق بين عاقبة المؤمنين والكافرين، وذلك من خلال عرض المثل القرآني ،الذي ضربه الحق – عز وجل- ليبين الاختلاف الصارخ بين حال الفريقين.

وجاء المبحث الثاني لبيان أوصاف جنات المؤمنين ، كل ذلك جاء في إطار دراسة قرآنية بيانية بلاغية.

أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

- أهمية الدراسات القرآنية البيانية البلاغية الدقيقة ، وضرورة التركيز عليها في إطار أبحاث ورسائل علمية محكمّة، لنرى بعد ذلك تفسيرًا بيانيًا محكمًا مستقلاً للقرآن الكريم.
- الاستفادة من الأمثال القرآنية ، وما اشتملت عليه من صور بلاغية، وارشادات ربانية تضيء الطريق للعباد.
- أن الأمثال التي جاءت في سورة محمد ترتبط بالمقصد العام، و لها صلة بالمقاصد الفرعية.
- أن المثل القرآني يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمقطع الذي ورد فيه ، فهو بمثابة المتمم لمعنى الآيات التي سبقته، والتمهيد للآيات التي جاءت بعده.
- أن سورة محمد من أوائل السور التي نزلت في العهد المدني، فقد نزلت بعد الهجرة ، وبعد بداية عهد جديد في المدينة ، فقد كانت الهجرة الحد الفاصل ، ونقطة التحول في تأريخ الدعوة الإسلامية، فقد تمايز الناس بعد الهجرة، وانقسموا إلي مؤمنين وكافرين ، ومن ثم ظهر التباين ووضح

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التقابل ، فجاء هذا التقابل في سورة محمد امتدادًا لهذه المرحلة، و إشارة إلى هذا التميز جاء ليعطي كل فريق حقه من الإشارة والإشادة، وليبين موقف كل فريق من القرآن، ومما أنزل عليه القرآن، وليبين حالهم في الدنيا والآخرة.

- استخدام التشبيه يساعد على إيضاح المعنى وترسيخه عن طريق الصور الموحية والمعبرة ، ليكون ذلك أوجب إلى فهم المراد، وجذب انتباه المتلقي بما يضاعف قواه لفهم المراد.
- توصل البحث إلى أن تركيز المثل على أسلوب التصوير عن طريق الموازنة والتقابل بين فريق الإيمان والكفر، له أثر واضح في إيصال المعنى مما يجعل المتلقي في حالة ترقب دائم لمعرفة ما يلقى عليه، وهذا سر من إعجاز نظم القرآن الكريم.
- التأكيد على قيمة الألفاظ في المثل القرآني في دلالتها النقدية والتصويرية ، ووجدنا تخير ألفاظه ذات دلالة ايحائية خاصة لايمكن أن يستبدل بها غيرها ، ولايؤدي معناها سواها.
- دقة النظم القرآني حيث يفيد تحري المثال المتجددة والتي تخص الناس جميعًا، و تبرز مدى الاحتياج لتلك الأمثال، فهم في حاجة دائمة ومتكررة، وتختلف باختلاف الزمان والمكان الذي يحيى فيه الناس.
- كان للفاصلة القرآنية دوراً هاماً في بيان الإعجاز البلاغي للآيات.

وأخيرا أسال الله العلي العظيم التوفيق والسداد، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحثة

د/ هبة إسماعيل حسن إبراهيم

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل (دار التراث –القاهرة– الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م).
- أساس البلاغة تأليف الإمام جار الله أبا القاسم محمد بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ (طبعة دار الفكر –بيروت ١٤١٥هـ –١٩٩٥م).
- أسرار البلاغة للإمام أبي بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ت٤٧١هـ وقيل ٤٧٤هـ،(الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ– ١٩٩١م).
- أسرار التكرار في القرآن تأليف محمد بن حمزة نصر الكرماني، تحقيق عبد القاهر أحمد عطا (الطبعة الأولى دار الإعتصام).
- الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية للثعالبي ، تحقيق محمد المصري (مطبعة سعد الدين –الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م).
- أضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسيين (الطبعة الثانية ١٩٨٠م مكتبة الهلال)
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق د/ عائشة بنت الشاطىء، طبعة دار المعارف (١٣٩٧هـ –١٩٧٧م) الطبعة الخامسة.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف مصطفى صادق الرافعي (طبعة دار الفكر – الطبعة الثامنة).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره، أ.د/ عبد الغني بركة. (الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م) مكتبة وهبة.
- إعراب القرآن وبيانه محيى الدين درويش، طبعة دار الإرشاد سوريا(١٤٠٨هـ -١٩٨٨م).
- الأمثال في القرآن الكريم ، تأليف الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بـ (ابن القيم الجوزية) (٦٩١ - ٧٥١هـ) دار ابن حزم.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن تأليف تاج الفراء ، محمود بن حمزة الكرماني ت٥٠٥هـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا(الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، دار الكتب.
- البرهان في علوم القرآن تأليف بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت٧٩٤هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (طبعة المكتبة العصرية – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٨م).
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، أ. د/ محمد أبو موسى (طبعة دار الثقافة –الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- التبيان في إعراب القرآن تأليف أبي البقاء العكبري ت٦١٦هـ ،(طبعة مكتبة الدعوة – القاهرة- الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).
- تفسير أبي السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – لأبي السعود محمد بن محمد العماوي ت٩٥١هـ (طبعة إحياء التراث).

- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم تأليف أ.د / عبد العظيم إبراهيم المطعني (مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م).
- تفسير التحرير والتنوير ، تأليف محمد الطاهر بن عاشور (طبعة الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م).
- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين ابن كثير قدما له عبد القاهر الأرناؤوط ، دار السلام الرياض الطبعة الأولى ١٤١٣ ه.
- تفسير الكشاف للإمام جار الله الزمخشري ت٥٣٨هـ (الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م) طبعة دار المصحف.
- تفسير روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ (الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م) طبعة إحياء التراث العربي.
- تفسير روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ (الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)،طبعة إحياء التراث العربي.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم الخطابي –الرماني – عبد القاهر الجرجاني (طبعة دار المعارف)؟
- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن لابن جرير الطبري مطبعة البابي الحلبي وأولاده مصر الطبعه الثالثة.
- الجني الداني في حروف المعاني لابن قاسم المرادي، ت٧٤٩هـ، تحقيق فخر الدين قباوة (الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، دار الآفاق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- حاشية الشهاب علي البيضاوي:المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، تأليف علي أحمد بن محمد بن شهاب الدين ت١٦٠٩هـ ، طبعة دار صادر.
- حاشية محيى الدين زاده علي البيضاوي (طبعة المكتبة الإسلامية – تركيا).
- دراسات منهجية في علم البديع الشحات محمد أبو ستيت الطبعة الأولى ١٤١٤ ه.
- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).
- صحيح البخاري بحاشية السندي:لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن الحسن إسماعيل بن يبروزيه الجغيفي (طبعة إحياء الكتب العربية).
- الصناعتين الكتابة والشعر : لأبي هلال العسكري ، تحقيق د/ مفيد قميحة (الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م)، دار الكتب العربية.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أ.د/ جابر عصفور(الطبعة الثالثة ١٩٩٢م).
- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية أ.د/ بسيوني فيود (مطبعة المختار – القاهرة).
- في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب (الطبعة الثانية عشر ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م– دار الشروق).
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – (طبعة دار الجيل – بيروت).

- لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف.
- مباحث في علوم القرآن الكريم د/مناع القطان ،الطبعة الخامسة (١٤٠٤هـ -١٩٨١م، مكتبة وهبة.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ط٢، ت/ محمد محي الدين عبدالحميد.
- مجمع الأمثال ، تأليف أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ، ت ٥١٨هـ ، ط. دار المعرفة – بيروت.
- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي علق عليه، وخرج أياته وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العلمية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد ابن عطيه الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعه الأولى ١٤١٣ ه.
- معالم التنزيل للبغوي إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك، ومروان صوار، دار المعرفة بيروت ،الطبعة الثانية ١٤٠٧ ه.
- معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح شلبي، وعلى النجدي ناسف ، دار السرور.
- المعجزة الكبرى للإمام محمد أبو زهرة (طبعة دار الفكر العربي – ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م).
- المعجم الوسيط قام بإخراج هذه الطبعة د/إبراهيم أنيس ، (طبعة دار الفكر –الطبعة الثانية).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني (الطبعة الأولى ١٣٨١هـ -١٩٦١م).
- نشأة الفنون البلاغية أ.د/ حمزة الدمرداش الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) دار الطباعة المحمدية.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور تأليف برهان الدين أبي الحسين إبراهيم البقاعي (الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

ثالثاً: الدوريات:

١- الإعجاز البياني في القرآن الكريم، مقال بقلم: د/محمد شودب نشر بتاريخ ٢٠١٩/٣/٢٨، مجلة سطور.

٢- أمثال القرآن الكريم" مقال نُشر في مجلة (الهداية الإسلامية)، الجزء الثالث من المجلد السادس عشر، الصادر في شهر رمضان ١٣٦٢هـ، ثم نُشرت في موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (٢/ ٣٠)، ط. دار النوادر – سوريا.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	رقم الصفحة
١	ملخص	٤٨٦٩
٢	Abstract	٤٨٧٠
٣	المقدمة	٤٨٧١
٤	التمهيد: وقد قسمتُه قسمين:	٤٨٧٦
٥	الأول: إطلالة على الأمثال القرآنية.	٤٨٧٦
٦	الثاني: بين يدي السورة.	٤٨٨٥
٧	المبحث الأول: بلاغة الأمثال في التعبير عن العاقبة المنتظرة.	٤٨٩٠
٨	المبحث الثاني: بلاغة الأمثال في التعبير عن جزاء المؤمنين ،ووصف جناتهم.	٤٩٠٢
٩	- الخاتمة	٤٩١٧
١٠	- الفهارس	٤٩١٩
١١	- فهرس المصادر والمراجع	٤٩١٩
١٢	- فهرس الموضوعات	٤٩٢٥

تم بحمد الله